الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية – ادرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإنسانية

الرقم التسلسلي:

رقم الجرد

بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني 1830- 1790 (سياسيا- إقتصاديا - إجتماعيا)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين:

- سعاد العياشي

- وفاء بن مسعود

إشراف الأستاذ:

- حمادي بن موسى

الموسم الجامعي: 1436- 1437 هـ / 2015- 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

- قال تعالى:[وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ] الآية 07 سورة إبراهيم .
- نشكر المولى عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل وما توفيقنا إلا بالله ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء و المرسلين محمد ﷺ.
- أما وقد يسر الله لنا إنهاء هذه الرسالة فيفرحنا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور حمادي بن موسى الذي كان سنداً قويا ودعماً متيناً لتكون لدينا قناعة راسخة تجسدت في فضاءات هذا البحث باعتباره مشرفاً وموجهاً.
- كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى قسم التاريخ أساتذة وطلبة وإلى كل من ساهم ولو بمثقال ذرة في إنجاز هذا البحث
- ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى من سيناقش هذه المذكرة، ونعتذر على ما سيجدونه من أخطاء، وأخيراً فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

سائلين الله عز وجل أن يجزي الجميع عنا خير الجزاء، كما نسأله التوفيق والسداد إنه سميع مجيب.

سعـــاد ، وفـــاء

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) سورالنمل الاية (19)

الحمد الله حمدا كثيرا يليق بكماله وعظمة صفاته، نحمده على أن وفقنا إلى إتمام هذه المذكرة بلطفه وكرمه وأعطانا الصبر والقوة والإرادة لانجاز هذا العمل المتواضع نحمده حمدا كثيرا طيبا مبارك فيه وأصلي على واسلم على من بعثه الإله نورا للعلمين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أهدي ثمرة هذا المجهود إلى:

- إلى أجدادي الكرماء رحمهم الله.

- إلى من خصهما الله بالذكر في كتابه الحكيم بقوله تعالى:" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أُفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما " – سورة الإسراء، الآية 23–

- إلى والديا الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما اللذان لم يبخلان علي بشئ طوال مسيرتي الدراسية.

- إلى سندي في هذه الحياة إخوتي الأعزاء كل واحد بإسمه وأبناء أخواتي .

- إلى كل صديقاتي " صفية ، أسماء ، فاطمة ، حليمة " وإلى زوجات إخوتي " حليمة ، حورية"

- إلى من قاسمتني عناء هذا الجهد "وفـــاء"

-إلى كافة عائلة " العياشي" ،"غرفي" أين ما كانت وحيث ما وجدت وأخوالي و خالاتي(وأبنائهم)

وأعمامي و عماتي(وأبنائهم)

وكل الأهل و الأقارب كل باسمه.

-إلى الأستاذ المشرف: حمادي بن موسى على صبره معنا طوال فترة انجاز هذا البحث من رحابة صدر وروح تعاون.

سعـــاد.

إهداء

إلى من جعله الله تاجا فوق راسي .... إلى من علمني العطاء بدون انتظار .... أرجو من الله أن يحفظك ويرعاك.... وستبقى كلماتك نور اهتدي به في ظلمات الدهر .. ***أبي الغالي***

إلى نبع الحنان... إلى من ضحت ولا زالت تضحي من اجلي ... إلى من دعائها سر نجاحي من سقتني من الصبر والحنان.. اغلى الحبايب .. ***أمي الحبيبة***

إلى من شاركوني رحما واحدا وهم سر عزيمتي وإصراري إخواني وأخواتي ... ***جمعة, محمد, بوجمعة, فاطمة, عبد اللطيف, يوسف, بختة, عبد الجبار, عبد الحميد***... دون أن أنسى أبناء أختي وأبناء إخواني والى كل من عائلتي "***بن مسعود, إعيش***"

إلى من قاسمتني مشاق البحث وأتعابه ... زميلتي ***سعاد***

إلى رفيقاتي دربي... إلى أصحاب القلب الطيب والنوايا الصادقة.... إلى من فرقتنا الجامعة ولم تفرقنا القلوب... صديقاتي "***سامية, سميحة***"

ولا أنسى ولن أنسى بإذن الله عائلتي الثانية ... صديقاتي وأخواتي اللواتي لم تلدهن لي أمي ... من أنيرت حياتي الجامعية بهن... ***خولة, كريمة, فاطمة, أمينة, سليمة, مريم, خديجة, لطيفة, سعيدة, شريفة, ريمه, ميمونة.....*** و إلى كل من وسعهم قلبي ولم يكتبهم قلمي.

إلى جميع من حملوا لواء الجهاد في سبيل العلم والمعرفة.

وفاء

مقدمة

1-التعريف بالموضوع:

لا يزال البحث في تاريخ الجزائر العثماني يستقطب اهتمام الباحثين في مختلف جوانب الحياة من أجل كشف الأحداث والظروف التي عاشتها الجزائر في الفترة الحديثة، خاصة الدراسات المتعلقة بالجانب الريفي للأيالة ، فبموجب التنظيم الإداري الذي عرفته الجزائر سنة 1568م والقاضي بتقسيم البلاد أربع (04) قطاعات عرفت بالبايلكات، منها بايلك الغرب، هذا الأخير الذي جلب أنظار الأتراك بسبب موقعه الجغرافي الهام وطاقته الاقتصادية وسمعته الفكرية والأدبية.

شهد بايلك الغرب أحداث السياسية هامة، حيث أنه لم يستقر على عاصمة دائمة ، فكانت أول عاصمة للبايلك مازونة 1563م ثم معسكر عام 1701م، ليستقر أخيرا على وهران كعاصمة له بعد تحريرها من الأسبان سنة 1792م.

عانت مدن بايلك الغرب من ويلات الاحتلال الاسباني بحيث أقبلت بعض القبائل على التعاون مع الأسبان، مما جعل البايلك يعيش تجاذبا قويا باعتباره نقطة احتكاك بين الإيالة والأسبان ، وأدى هذا التجاذب إلى قيام تحالف بين السلطة العثمانية وكثيرا من القبائل من أجل تحرير وهران، كما كان لها تأثير بارز على الحياة الفكرية والثقافية .

من جهة أخرى شهد البايلك انتعاشا وازدهارا في مختلف المجالات خلال القرن 18 عشر، فإضافة إلى إلقاء الضوء على أهم شرائح وفئات المجتمع والمستوى المعيشي الذي عرفه البايلك إثر تلك التحولات السياسية سنتطرق إلى انعكاساتها على السكان كالمجاعات و الأمراض وكثرة الثورات.

2-دوافع اختيار الموضوع:

أما الدوافع التي كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع دوافع ذاتية وموضوعية:

ميولنا الشخصي لدراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية ورغبتنا في البحث وقراءة ما كتب حول الفترة الأخيرة من الحكم العثماني.

من أجل معرفة أوضاع بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني وفهم الأحداث السياسية التي شهدها البايلك بعد تحرير وهران النهائي.

في حين نجد دراسة وضعية بايلك الغرب الجزائري لفت أنظار مجموعة قليلة من الباحثين مقارنة بالمواضيع التي تناولت دراسة الجزائر في الفترة العثمانية، خاصة البايلكات (دار السلطان – بايلك الشرق– بايلك التيطري).

من خلال هذه التطلعات الخاصة بالبايلك تكونت لدينا فكرة عامة حول بايلك الغرب الجزائري (سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا) واختياره كموضوع للدارسة .

3–إطار البحث:

وقد حددنا الإطار الزمني للبحث بالفترة الممتدة من 1790 م إلى غاية 1830، أي من تحرير وهران النهائي إلى دخول الاستعمار الفرنسي.

4–إشكالية البحث:

من أجل الوقوف على الجوانب المختلفة للموضوع طرحنا الإشكالية الآتية:

كيف كانت أوضاع بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، وما هي المواقف المتبلورة اتجاه مقاومة الأمير بعد سقوط عاصمة البايلك (وهران) في يد الاحتلال الفرنسي؟

5–مناهج البحث:

من أجل تغطية الموضوع اتبعنا منهجا تاريخيا ومتبوعاً بأدوات السرد والتحليل لتعريف القارئ بأهم الأحداث التي شهدها البايلك أواخر العهد العثماني.

6–أهم الدراسات الأكاديمية السابقة:

مذكرة الماجستير التي أعدتها "سميرة طالي معمر " حول "القوى المحلية ببايلك الغرب أواخر العهد العثماني " والتي توضح من خلالها قبائل الغرب ودورهم في دعم السلطة البايلك. إضافة إلى مذكرة الماجستير التي كانت من أنجاز " فتيحة الواليش" حول " الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18" التي

وضحت فيها مختلف حواضر بايلك الغرب ووظائفه، وأطروحة دكتوراه "كمال بن صحراوي " "أوضاع بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني" والتي جمع فيها مختلف جوانب الحياة ببايلك الغرب.

تكمن أوجه التشابه والاختلاف بين موضوع دراستنا والدراسات السابقة، بحيث نشترك في طبيعة الموضوع وهو بايلك الغرب الجزائري والجانب السياسي منه، أما الجوانب الأخرى فتتفاوت فيما بينها، في حين أن الدراسات السابقة لم تتطرق إلى سقوط عاصمة البايلك في يد الاحتلال بما أنها درست البايلك أواخر العهد العثماني.

7- أهم المصادر والمراجع:

ولإثراء هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة المصادر والمراجع أهمها:

ومن المصادر المعتمدة ركزنا على الثغر ألجماني في ابتسام الثغر ألوهراني لابن سحنون تناول دراسة فترة حكم الباي محمد الكبير وكيف تمكن من تحرير وهران النهائي من الاحتلال الاسباني سنة 1792م.

رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري لابن هطال التلمساني الذي يعتبر الكاتب الأيمن للباي درس الرحلة بدقة، و تكمن أهمية هذا المصدر باعتباره يعكس لنا صورة عن وضعية بايلك الغرب واهم الانجازات التي قام الباي بعد التحرير.

بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر لعبد القادر ألمشرفي، اعتبر مصدرا هاما لدراسة قبائل الغرب الجزائري وعلاقتها بالأسبان من جهة والعثمانيين من جهة أخرى، كذلك وضح انتماءاتها وأصولها كبني عامر وكر شتل.

مذكرات احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر تناول الجانب الاقتصادي على غرار الزراعة، الضرائب بحيث ركز على طبيعة ملكية الأراضي وأنواع الضرائب المفروضة على الريف.

دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ليوسف الزياني مصدر أساسي لدراسة بايات وهران أثناء فترات حكمهم، والثورات التي قامت ضد السلطة العثمانية في البايلك: الدرقاوة، التيجانية.

طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا لأغا بن عودة المزاري يعد مصدر هام لدراسة هذا الموضوع بحيث عالج أوضاع البايلك من دخول الأسبان إلى خروج العثمانيين.

المرأة لحمدان خوجة تحدث عن ابرز خصائص الجهة الغربية باعتبارها اقل اتساعا من الجهة الشرقية كما تضمن سقوط وهران في يد الاحتلال الفرنسي.

بالنسبة للمراجع التي اعتمدنا عليها نردها حسب الأهمية:

الجزائر في التاريخ العهد العثماني ج4 لناصر الدين سعيد وني والمهدي البوعبدلي مرجع أساسي لمعالجة الموضوع تضمن دراسة الفئات السكانية(المدن- الأرياف)، وعلاقتها بالسلطة إضافة إلى الجانب الاقتصادي.

وهران عبر التاريخ ليحي بوعزيز مرجع ذو أهمية بالغة لفهم الأحداث التي مر بها بايلك الغرب.

النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية1800- 1830 لناصر الدين سعيد وني ركز على أسعار مختلف البقول والثمار من المحاصيل الزراعية وأشهر الصناعات المتواجدة في البايلك.

الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال1518- 1830 لفله موساوي القشاعي ساعدنا في دراسة أسباب سوء الحالة الصحية التي كان يعيشها البايلك من انتقال العدوى وانتشار الأمراض والأوبئة.

تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830 لأبو القاسم سعد الله تناول المؤسسات الثقافية في الجزائر من خلال إبراز دورها وفعاليتها في منطقة الغرب الجزائري.

8-صعوبات البحث

خلال دراستنا لهذا الموضوع اعترضتنا مجموعة من الصعوبات تعود أساسا لطبيعة الموضوع ونجملها في:

-قلة المادة العلمية المتعلقة بدراسة الجهة الغربية للأيالة خاصة في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني.

-تكرار المعلومات وتطابقها من مصدر لأخر بنفس الصياغة مما أدى إلى حصر معلوماتنا.

-دراسة موضوع بايلك الغرب يحتاج إلى الأرشيف الخاص بالمنطقة وهذا ما تعذر علينا الحصول عليه

9-خطة البحث

انطلاقا من المادة المتحصل عليها وللإجابة عن الإشكالية المطروحة اتبعنا الخطة الآتية، تضمنت مقدمة ومدخل وأربعة فصول متبوعة بملاحق وخاتمة جاءت عبارة عن حوصلة لأهم ما جاء في هذه الدراسة :

تناولنا في المدخل وضعية البايلك عشية تحرير وهران 1792 (الموقع الجيوسياسي للبايلك وتأسيسه والخصائص التي تميز بها والتي تعتبر من بين أهم الأسباب لاحتلاله إضافة إلى تحرير وهران النهائي من الاحتلال الإسباني

أما الفصل الأول ويدرس الوضع السياسي للبايلك وقد خصصناه للحديث عن الجهاز الإداري للبايلك ونظام الحكم السائد فيه باعتباره منطقة عسكرية ، إضافة إلى تحديد العلاقة بين السلطة العثمانية وقبائل الغرب الجزائري والتي كان من بينها من هي حليفة للسلطة وخاضعة لها في حين هناك من كانت ممتنعة ومستقلة عنها

فالفصل الثاني يعرض الأوضاع الاقتصادية المبحث الأول يتناول الزراعة بمختلف محاصيلها وأنواع الملكية(أراضي الباي، أراضي البايلك، المشاعة، الوقف).

كما يتضمن المبحث الثاني الصناعة ومدى مساهمتها في الاقتصاد عن طريق وجود الصناعة التحويلية والنسيجية والغذائية، بالإضافة إلى أهم المراكز الصناعية المتواجدة بالبايلك.

والمبحث الثالث شمل قطاع الخدمات بما فيها التجارة التي كانت بأنواعها داخلية وخارجية، الضرائب التي مثلت دخل الدولة في ذلك الوقت سواء في المدن أو في الأرياف.

أما الفصل الثالث فكان حول دراسة الوضع الاجتماعي للبايلك من خلال عرض أهم الفئات الموجودة فيه ودورها في تماسك المجتمع الريفي، والذي ساهم في ترقية المستوى الثقافي استنادا إلى أهم المؤسسات الدينية والثقافية كالمساجد والمدارس والزوايا ومساهمتها في بعث الحركة الدينية والثقافية في مجتمع بايلك الغرب، إضافة إلى التطرق الوضع الصحي الذي عاشه سكان البايلك وتأثير المجتمع بمختلف الأمراض والأوبئة التي انتشرت في

مختلف عواصمه، من وهران إلى معسكر فتلمسان مما سبب في ظهور مجاعات أدت بهلاك العديد من السكان في فترات مختلفة أواخر العهد العثماني.

وقد خصصنا الفصل الرابع للحديث عن سقوط وهران في يد الاحتلال الفرنسي وعرض مختلف الثورات التي عجلت بسقوطه وموقف القبائل من مقاومة الأمير.

وفي الأخير وضعنا خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها كما دعمنا بحثنا هذا بما توفر لدينا من ملاحق، ثم كان للفهرس مكان في الأخير ليسهل للقارئ الوصول إلى المعلومة داخل البحث.

مدخل

وضعية بايلك الغرب عشية تحرير وهران

الموقع الجيوسياسي للبايلك

التأسيس

الخصائص

تحرير وهران النهائي **1790- 1792**

ستناول في هذا المدخل البدايات الأولى لتأسيس بايلك الغرب الجزائري في بداية الوجود العثماني من خلال دراسة جغرافية وسياسية للمنطقة، فالدراسة الجغرافية تتضمن تحديد الموقع وضبط الحدود، ثم التطرق إلى تأسيسه والطابع الذي ميز الجهة الغربية للجزائر في العهد العثماني، كما ترصد دراستنا التاريخية إلى نبذة عن وضعية البايلك عشية تحرير وهران من الاحتلال الاسباني 1792.

يستخدم لفظ البايلك للدلالة على نوع من الإيقاع الخاص بقدماء ضباط الانكشارية المتقاعدين، ثم استخدم في الجزائر للدلالة على القطاعات التي تؤخذ منها الضرائب، ثم أصبح للحديث عن الحكم الإداري العثماني في البلاد، وبالتحديد عن المقاطعات الإدارية الكبرى[1]، بحيث قسمت الجزائر إلى أربع مقاطعات وهي دار السلطان، بايلك الشرق، بايلك التيطري، ثم بايلك الغرب ويمثل هذا الأخير منطقة الغرب الجزائري موضوع دراستنا.

1- الموقع الجيوسياسي للبايلك:

تمتد رقعة بايلك الغرب الجغرافية في العهد العثماني من البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى الأغواط جنوبا، ومن الحدود المغربية غربا إلى بايلك التيطري ودار السلطان شرقا[2]، وقد اعتقد أبو رأس الناصري أن مدينة وجدة هي الحد الفاصل بين الجزائر والمغرب[3].

يقدم تقرير "ارم بوروا" RAMBOUROU الحدود على النحو الآتي: من دار السلطان شرقا وبالتقريب عند نهر الشلف حتى واد ملوية على الحدود المغربية في الغرب، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا.

[1]- المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج1، العملة الأسعار والمداخيل، دار القصبة للنشر، الجزائر:2009، ص 418.

[2]- ناصر الدين سعيد وني: ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار البصائر، الجزائر: 2012، ص 241.

[3]- أنظر الملحق رقم 01.

يعد بايلك الغرب ثاني أكبر إقليم من حيث المساحة بعد بايلك الشرق، ويكتسي هذا الموقع الاستراتيجي أهمية بالغة ذلك أنه يتفتح على عدة كيانات وتجمعات بشرية أهمها: المملكة المغربية وأوروبا، المناطق الصحراوية من خلال القوافل التجارية، وبايلك التيطري ودار السلطان[4].

2- التأسيس:

يعود تاريخ ظهور بايلك الغرب إلى النصف الأول من القرن 16م وذلك خلال حكم حسن بن خير الدين (1540-1552) الذي يعتبر أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية في البايلك[5]، ففي عام 1563 أصبحت عاصمة البايلك مازونة، واختاراها الباي ابن خديجة* للتحكم في قبائل المنطقة الغربية، وبذلك يعتبر بمثابة الباي الأول لمازونة نظرا لعمله على إقامة تنظيم إداري بالبايلك[6].

قام الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم** ألمسراتي (1686-1733) ميلادي بنقل عاصمة البايلك إلى قلعة بني راشد، ثم إلى معسكر سنة 1703، وهذا حتى يقترب أكثر من وهران[7].

خلال الفترة الممتدة ما بين 1733 إلى 1779، تولى أمور بايلك الغرب ثمان بايات آخرهم الحاج خليل باي (1771-1779)، ليتولى بعده الحكم محمد بن عثمان (1779-1797)[8]، هذا الأخير الذي

---

[4]- نور الدين بودر بالة: الطرق والمواصلات البرية في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني(1792-1830)، مذكرة الماستر في التاريخ الحديث، إشراف قبايلي هواري، جامعة معسكر: 2013-2014 ، ص5.

[5]- محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في دولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1981، ص 32.

* عينه الباي حسن بن خير الدين على مازونة 1563.ينظر نفسه: ص 32.

[6]- محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أحبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1978، ص 254.

** هو باي وهران 1708- 1732 مؤسس مدينة معسكر ودفن بمستغانم، حرر مدينة وهران من الإسبان في 1708 بعد قرنين من الاحتلال 1509- 1708، وفي 1732 عاد الإسبان من جديد لكنهم في سنة 1792 غادروا نهائيان وهو تاريخ مغادرة بايات الغرب معسكر واستقروا بوهران إلى غاية 1830.أنظر عاشور شرفي: معلمة الجزائر القاموس الموسوعي(تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم)، تنسيق ومراجعة مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2009، ص 39.

[7]- يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، وهران: 2004، ص80.

[8]- نفسه: ص 100-105.

كتب على يده تحرير وهران النهائي عام 1792، ومنذ هذا التاريخ أصبحت وهران عاصمة بايلك الغرب الجزائري[9].

إن الطابع الذي ميز بايلك الغرب قبل 1792 هو الطابع العسكري، نتيجة الصراعات المستمرة بين الأتراك العثمانيون من جهة وسلاطين المغرب من جهة أخرى إلى جانب الاحتلال الاسباني في كل من وهران والمرسى الكبير، ومن ثم كان على سكان المنطقة الغربية من إيالة الجزائر التأهب لأي خطر أجنبي[10]، هذا الطابع ميز بايلك الغرب عن غيره من البايلكات وجعل تنظيمه أكثر سهولة من جهة، واشد قوة من جهة أخرى.

كان البايلك مقسما إلى ثلاث قيادات كبرى، قيادة الشرق والتي تمتد من مازونة إلى حدود دار السلطان، ويتولى أمرها خليفة الباي، أما باقي القيادات فكانتا تشملان باقي الأقاليم وتديرهما قبيلتي الدوابر والزمالة[11].

3- خصائص البايلك:

سمح الامتداد الطبيعي لحدود بايلك الغرب إلى انفتاحه شمالا على البحر المتوسط يزيد طوله على مائة وسبعين كيلومتر(170كم)، واتصاله مع باقي مقاطعات الجزائر شرقا ليزاحم الحدود المغربية غرباً، هذه الأبعاد جعلت بعض المؤرخين يطلقون على البايلك تسمية الإيالة الغربية.

يحتوي بايلك الغرب على سهولة عديدة منها سهل الشلف يوجد به الطريق السلطاني الرابط بين البايلك ودار السلطان، وأيضا سهل اغريس وسهل السرسو وسهول تلمسان وسعيدة وسيدي بلعباس، صحيح أن بايلك الغرب يحتوي على العديد من السهول إلا أن حمدان خوجة اعتبره أقل خصوصية وأقل اتساعا من مقاطعة قسنطينة[12].

تتألف الجهة الغربية للجزائر من التضاريس الآتية:

الأطلس التل الغربي: يتميز بانقسامه ونسبة جفافه وتتواجد به سهول وأحواض تحيط بها السلاسل الجبلية.

---

[9]- محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 191.

[10]- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في الحديث والقديم، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر: 1963، ص297.

[11]- نفسه : ص301.

[12]- حمدان ابن عثمان خوجة: المرآة، تحقيق وتعريب العربي الزبيري، ط1، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر: 1982، ص 55.

أشار الوزان[13] إلى مدى خصوبة المنطقة الغربية قائلا:" السهول القريبة من الساحل منتجة جدا، نظرا لخصوبتها، نجد أيضا مرتفعات وهران، الظهرة وجبال ملیانة المطلة على البحر المتوسط، وسهول منخفضة كسهل سبخة، سهل وهران، سهل المقطع"[14].

في حين تمتلك تلمسان ثروة مائية هائلة من أهم عيونها عين تسمى "لوريط"، ويتصف القطاع الوهراني بكونه منطقة سهلة الاختراق رغم تنوع تضاريسه الصعبة التنقل، إلا أنه يقف حاجراَ أمام الحركة في مختلف اتجاهاتها[15].

4- تحرير وهران النهائي (1790-1792):

توفي الباي مصطفى بوشلاغم (1149هـ1737م)[16]، دون أن يحقق أمنيته في تحرير وهران، إلى أن تولي الحكم محمد بن عثمان الكردي الملقب بمحمد الأكحل لشدة سمرته، استمر هذا الأخير محاصرا للمدينة إلى أن تمكن من قطع مجرى الماء الذي يسقى المدينة و احتل البرج الأحمر[17].

في سنة 1790، كان سكان وهران وحاميتها العسكرية على وقع زلزال، كان هذا الزلزال عاملا هاما في انسحاب الأسبان نهائيا من الأرض الجزائرية[18].

بدأت هزات خفيفة منذ شهر أوت و لكنها توقفت في وسط شهر سبتمبر لتبدأ من جديد يومي 8-9 في أكتوبر 1790، خربت جزء كبير من المباني و المنازل، و خلفت العديد من القتلى و الجرحى قدرت بثلاثة الآلاف (3000)من سكان المدينة و الجنود، فبالنسبة للجنود الاسبانيين فلم يبقى منهم سوى حوالي ألف

[13]- حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج2 ،ترجمة محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت: 1983، ص30

[14]- نفسه: ص 31.

[15]- كاميلية دغموش: قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509- 1792)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف محمد دادة، جامعة وهران: 2014-2013، ص 17-18.

[16]- محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 254.

[17]- عثمان سعدي: الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة، الجزائر: 2013، ص414.

[18]- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومه، الجزائر: 2004، ص171.

وخمسمائة(1500) جندي، كان من بين الضحايا الأسبان نائب الملك الحاكم العام الاسباني دون نيوكولا غارسيا DON NUOKOULA GARSYA، وأحرقت النيران بعض السفن[19].

يوم 15 أكتوبر 1790 وفي هذه الظروف جاء محمد الكبير باي معسكر ليحاصر الأسبان في هذه المدينة المنكوبة، قام باي معسكر بهجوم قوي غير أنه رد على أعقابه من طرف الحامية الاسبانية، عاد الباي إلى معسكر وترك الطلبة[20]، في جبل المائدة وعلى رأسهم الشيخ بوجلال، الشيخ محمد بن علي لمازوني، واصلو الحصار إلا أنهم لم يوفقوا نتيجة عدم اعتيادهم على حمل السلاح[21].

استمرت الهزات الارتدادية متتالية إلى يوم 22 نوفمبر (تشرين الثاني) من نفس السنة، هذا الزلزال ساهم في الإعلان عن حرب شاملة ضد الوجود الاسباني في المنطقة، وتلقى الأسبان مدادا من بلادهم تمثل في سبعة الآلاف(70000) رجل، وضيق المجاهدين طوال هذه الفترة على المحتلين بهجمات موفقة[22].

مع مطلع السنة الجديدة 1791، وعلى إثر هذا الحصار الذي ضربه الباي على مدينة وهران طلبت اسبانيا الهدنة ،فوافق الباي محمد الكبير على المفاوضات، في حين أن الأسبان وافقوا التخلي عن وهران شريطة الإبقاء على المرسى، خاصة وأن الثورة الفرنسية كانت تهدد نظام اسبانيا[23].

رفض الداي مقترحات الأسبان مصراً على التخلي عن المرسى الكبير كذلك، عندها أقنعت إسبانيا أنه لا أمل لها في الحفاظ على احتلالها لوهران، فطلبت في أفريل 1791 من الداي محمد عثمان باشا تطبيق اتفاق الانسحاب في 9 سبتمبر 1791 وتضمن ما يلـي:

---

[19]- نفسه : ص172.

[20]- عبد القادر بلغيث: الحياة السياسية والاجتماعية في وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة وهران: 2013-2014، ص31.

[21]- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر: 1998، ص207.

[22]- عبد القادر بلغيث: نفس المرجع ص34.

[23]- نفسه : ص35.

1- تنسحب إسبانيا من وهران و المرسى الكبير، دون قيد ولا شرط[24].

2- يفتح المرسى الكبير للتجارة الاسبانية، وكل سفينة في ميناء المرسى الكبير تدفع خمسة وخمسين (55) ريالا: أربعين (40) منها لبيت المال و البقية لقائد الميناء.

3- سحب كل الفرق العسكرية المحيطة بوهران و إيقاف كل العمليات العدائية.

4- تسمح الجزائر لإسبانيا شراء ثلاثة آلاف كيله من القمح الجزائري[25].

5- تسمح لها كذلك بأن تؤسس مركزا تجاريا بالغزوات، مع السماح لها كذلك بصيد المرجان على السواحل الغربية للجزائر[26].

6- تعطى مهلة للجالية الاسبانية مدتها أربعة أشهر لإخلاء المدينة والمرسى الكبير[27].

يقول يحي بوعزيز[28] في هذا الصدد "كان فشل أوريلي و دون انطونيو في مواجهته للباي من العوامل التي شجعت اسبانيا على إخلاء و هران و المرسى الكبير بعد العناء الكبير الذي واجهته في مقاومة سكان البايلك و الأساطيل الجزائرية".

[24]- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، طبعة خاصة، دار المعرفة الدولية، الجزائر: 2013، ص 470.

[25]- عثمان سعدي: المرجع السابق، ص 415.

[26]- احمد ابن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق محمد ابن عبد الكريم، عالم المعرفة، مصر: ص23.

[27]- يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص63.

[28]- يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا (1500-1830)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر: ص103.

سمح الداي للأسبان باصطياد المرجان في سواحل الغرب الجزائري، وتأسيس مركز تجاري لهم بجامع الغزوات مقابل 120 جنيها كل عام[29].

كان من الأوائل الذين غادروا وهران هم الأهالي الذين كانوا في خدمة الأسبان على الرغم من العفو الذي أصدره الباي محمد الكبير في حقهم[30]، وفي 10 ديسمبر 1791 غادر جنود اسبانيا باتجاههم نحو سبته، أما حاكم وهران "جون كورتين" JON KORTIN غادر المرسى الكبير يوم 9 فيفري 1792 على متن سفينة "أميرال سانت جوا شيم"[31].

قبل دخول الباي محمد الكبير مدينة وهران، بعث كاتبه محمد بن هطال التلمساني إليها ليكتشف أوضاع وأخبار المدينة، فرأى مخلفات الأسبان، وما تركوه من مدافع وذخيرة امتثالا لمعاهدة الاستسلام وما جاء فيها، دخل باي معسكر محمد بن عثمان الكبير إلى مدينة وهران والمرسى الكبير يوم 22 فيفري1792.

قام الباي محمد الكبير بنقل عاصمة البايلك إلى وهران، وقضى بقية أيامه في ترميمها وتوسيعها وشيد بها المسجد الكبير(محمد الباشا)، تذكاراً لهذا الفتح المبين من ماله الخاص، ولم تمض إلا مدة وجيزة حتى أصبحت وهران مدينة غنية زاهرة بعدما كانت عبارة عن خراب، ومنحه الداي حسن باشا لقب الكبير، اعترافا بفضله وصدق جهاده[32].

وما يتعلق بتعمير المدينة، فقد جلب لها السكان من مليانة والمدية وتلمسان ومعسكر، وبعض المدن الداخلية الأخرى، وجلب الكثير من اليهود من مدينة مستغانم ومعسكر، ندرومة بغرض بعث الحيوية والنشاط التجاري والعمراني لمدينة وهران[33].

---

[29]– ابن ميمون محمد الجزائري: المصدر السابق، ص 55.

[30]– صالح عباد: المرجع السابق، ص 271.

[31]– كان عددهم حوالي ستين(60)رجلا ثم تلاهم حوالي 250 يوم 29 اتجهوا نحو سبته. انظر صالح عباد: المرجع السابق ص277.

[32]– احمد ابن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص25.

[33]– يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص64.

وهكذا تم تحرير وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الاسباني الذي دام حوالي ثلاثة قرون من الزمن بفضل جهود بايات وهران إلى جانب دعم شيوخ المرابطين وبعض القبائل.

الفصل الأول

بايلك الغرب سياسيا

المبحث الأول: الجهاز الإداري للبايلك

المبحث الثاني: نظام الحكم

المبحث الثالث: علاقة السلطة العثمانية بقبائل الغرب الجزائري

يتضمن هذا الفصل دراسة الجانب السياسي لبايلك الغرب من خلال معرفة الأجهزة الإدارية التي قام عليها اعتمادا على الديوان المحلي للبايلك الذي يحتوي على مجموعة من الوظائف والتخصصات، ثم اشرنا إلى طبيعة الحكم ومدى فعالية القائمين على تسيير شؤون البايلك من حكام وشيوخ قبائل.

كما تطرقنا إلى معرفة أهم القبائل الموجودة بالبايلك وعلاقتها مع السلطة، سواء المتحالفة أو الخاضعة لسلطة البايلك ومدى مساهمتها في دعم السلطة، إضافة إلى القبائل المستقلة أو الممتنعة عن خضوعها للبايلك واهم أسباب عصيانها.

المبحث الأول: الجهاز الإداري للبايلك

كان موضوع التنظيمات الإدارية المحلية إبان العهد العثماني يكتسي أهمية بالغة إذ يسمح بالوقوف عند طبيعة الحكم العثماني، كما يتيح معرفة طبيعة العلاقة القائمة بين الحكام والمحكومين، وقد ظهرت التقسيمات الإدارية أو المقاطعات التي أصطلح على تسميتها البايلك، أي المقاطعة الخاضعة لنفوذ الباي، فإن بايلك الغرب أسس عام 1563م على يد حسن باشا بن خير الدين، وقد اتخذ هذا التنظيم نموذجا للمقاطعتين الأخريين أي بايلك قسنطينة وبايلك التيطري.

أولا: ديوان البايلك المحلي

شكل ديوان البايلك الجهاز الإداري المحلي الذي يرجع إليه الباي للبث في الأمور الهامة أو لطلب الرأي والمشورة، وهو يتألف من مجموعة موظفين يماثلون موظفي دار السلطان التابعين للداي من حيث الصلاحيات والسلطات التي كانوا يتمتعون بها، ومن أبرز هؤلاء الموظفين المحلين الذين يؤلفون ديوان البايلك نذكر[1]:

1-الخليفة: هو المسؤول عن شؤون الأوطان أو الأقاليم في البايلك، ويخضع له القياد ورجال المشيليا المنظمة، وينظم عملية استخلاص الضرائب، ويتولى إخضاع السكان لحكومة البايلك، يذهب مرتين في العام إلى الجزائر العاصمة في الربيع والخريف لحمل الدنوش* إلى الباشا وذلك في حالة عدم ذهاب الباي نفسه.

2- قائد الدوار: وهو بمثابة شيخ البلدية حاليا، أغا متقاعد، مكلف بالإدارة وشرطة المدينة وبتموين رجال الميليشيا برواتبهم الشهرية وتمتد مسؤوليته[2]، كما كان يدير القسم الأكبر من الأملاك الريفية التابعة للبايلك والعقارات المصادرة بالمدينة وكان يشرف على تخزين الحبوب الناتجة عن ضريبة العشر والأعلاف والزيت والخشب وغيرها من المنتجات والمحاصيل.

---

[1] – عائشة غطاس وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر: 2007م، ص 207.

* هي الضرائب التي يحملها الباي أو خليفتهُ إلى الداي مرة واحدة في السنة. حمادي بن موسى: تاريخ الجزائر الحديث، الثانية ماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار: 2015- 2016.

[2] – يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 48،49.

كما تمتد صلاحيات قايد الدار إلى توفير المعاش اليومي للقائمين على المساجد وبعض موظفي المدينة، وهو المسؤول كذلك على إصدار الحكم في حق المتهمين بالمدينة ما عدا في حالة ما إذا كان الحكم بالإعدام فتعود الصلاحيات إلى الباي[1].

3- النقاد أو المقتصد: وهو صاحب السلطة على كل المصالح المالية، وكذا الإنفاق وجمع الضرائب وإعداد أموال الدنوش التي ترسل إلى العاصمة.

4- قائد الدائرة: أو أغا الدائرة:وهو أحد رؤساء فرسان المخزن، يدير فرق القوم غير المنظمة في الأرياف ويتولى توفير ما تحتاج إليه، ويخرج مع الباي لمعاقبة القبائل المتمردة، وقد أدى توسيع صلاحيات الأغا إلى حد إعطائه حق التصرف في جميع الفرق العسكرية، وبذلك أصبح ينعت بـ"الباش أغا"، وأوكل إليه أمر مراقبة الباي وتقديم تقرير عن ذلك للداي، كما كلف بالإشراف على تنصيب البايات وتنفيذ أوامر العزل الصادرة ضدهم، وخول له أن يتولى إدارة البايلك بصفة مؤقتة حتى يلتحق الباي الجديد بمنصبه وهذا ما جعل سلطته تماثل سلطة الباي نفسه، لاسيما بعد أن أصبحت تخضع لأوامر الحامية التركية المؤلفة من 500رجل ببايلك الشرق والمرابطة[2].

رغم هذا التطور الذي عرفه منصب أغا الدائرة أنه بانتهاء حكم محمد الكبير بوهران (1780-1799) ساعد على توسيع صلاحيات هذا الأغا وجعل من الباي موظفا خاضعا مباشرة للداي، وهذا بفعل عدم الاستقرار[3].

5- الباش كاتب (الكاتب العام): فهو بمثابة أمين سر الباي، له عدة صلاحيات منها تحرير رسائل الباي ومراقبة الرسائل المحررة من قبل الكتّاب الآخرين، ووضع طابع الباي عليها، كما يتخذ لنفسه دفتراً يسجل فيه كل أموال البايلك كالنقود والأحصنة والبغال، وقطعان الأغنام ويخرج من حين إلى آخر للمراقبة ويساعده في مهامه

[1] - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 208.

[2] - ناصر الدين سعيد وني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ط2، ص 195.

[3] - نفسه: ص 195.

ثلاث كتاب ثانويين يتولون تحضير محاضر الجلسات المتعلقة بأمور العدالة، والموجهة للباي إلى جانب تحرير المراسلات العامة بين الباي والشيوخ والقياد[1].

6- الباش سيار: يتولى شؤون البريد، بحيث ينقل بنفسه رسائل الباي إلى الباشا* بالجزائر ويعود برد هذا الأخير إلى الباي، كما يرافق الخليفة عندما يحمل الدنوش إلى العاصمة الجزائر.

7- الباش سياس: أو قائد الزمالة مسؤول عن حيوانات البايلك وحمايتها ورعايتها والاعتناء بها.

8- الباش شاوش: مكلف بتنفيذ الأوامر الموجهة إلى الأتراك وتوضع تحت سيطرت كتيبة من الجنوب الانكشاريين وفرقة فرسان الصباحية الكراغلة، وقوات أخرى من المخزن لتدعيمها.

9- شاوش الكرسي: وهما من الأتراك يتوليان وظيفة الجلد ويسيران أمام الباي عند خروجه ويتوسطان بينه وبين بعض المسؤولين الأجانب في مسائل السلم[2]، وتمتين الروابط يبلغان للناس في الاجتماعيات العامة سلامة وتحياته، يقومان بجلد من يأمر الباي بجلدهم[3]، وتجدر الإشارة إلى بعض الشواشين قد أصبحوا بايات منهم تشاكور و أحمد طوبال وقارة مصطفى.

يطلق على المتوالين لهذه الوظائف السامية التي تم ذكرها اسم ألمخازني أي رجل الدولة، بحيث كان لهم الحق في الاتصال بالباي ومرافقته أثناء خروجه كما كانوا يشكلون مجلسه الخاص، وحضورهم ضروري عند إعلان الباي للأحكام المتعلقة بالعدالة[4].

[1] - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 209.

* كان منصب الباشا منفصل عن منصب الداي، وفي سنة 1711م أصبح الداي يجمع بين منصبي الباشا والداي. حمادي بن موسى: المرجع السابق، س 9:00.

[2] - صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين 814ق.م-1962م، دار العلوم، الجزائر: 2002م، ص 115.

[3] - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 50.

[4] - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 209.

ثانيا: الموظفون الذين لا يتصل بهم الباي مباشرة: يضاف إلى الموظفين السامين من المخزن الذين يديرون شؤون البايلك مجموعة من الموظفين في صف أدنى لا يحق لهم حضور اجتماعات المجلس، ولا يتصل بهم الباي مباشرة إلا عند الضرورة وهؤلاء هم:

1/أغا الصباحية: وهو المسؤول عن الصباحية والشواش الذين يقومون بدور المساعدين

2/شاوش محلة الشتاء: مكلف بتوزيع ما يحتاج إليه جنود المحلة من المؤن والأغذية والخيام، والأخشاب التي يتواصل بها من قائد الدار مباشرة.

3/باشا العلم: وهو الذي يحمل العلم أمام الباي عند ما يخرج في مهمة سواء في السلم أو الحرب.

4/باش الطبل: وهو رئيس الطبول التي تضرب وتدق في حالات الحرب والسلم كذلك للنفير وغيره.

5/باش المكاحل: هو رئيس حرس الباي الخاص، ويحمل أسلحة الباي في الحفلات العامة، ويحكم فرسان الحرس الدائم للباي[1].

6/باش خزناجي: المختص بالإشراف على الخزينة فقد أوكل إليه أمر حراستها وإبداع مصادر دخل الدولة بها مع الإشراف على وجوب الإنفاق المختلفة كدفع أجور الجند ويباشر الخز ناجي مهامه المالية لحضور الداي وأعضاء الديوان[2].

وأصبح الخز ناجي في الديوان الشخصية الثانية لشغل منصب الداي على شاوش(1710-1718م) ويتكلف بإعداد الأحصنة، والخيول لحمل هذه الضرائب في كل مرحلة من مراحل هذه العملية ويحمل أمتعة الباي عند سفره[3].

[1] – أحمد سليماني: النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، (د- ط) مطبعة دحلب للنشر، (د- م)، (ص42.

[2] – حنيفي هلا يلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر: 1429هـ-2008م، ص 139.

[3] – نفسه: ص 139.

7/ باش مانقا: و هو مسؤول عن إعداد وتقديم البغال والأحصنة للقافلة التي يقودها الباي للقيام بغارة مفاجئة على منطقة ما .

8/قائد خوجة الخيل: مسؤول عن أملاك الدولة التي ترد إليها، كما يشرف على تجنيد الفرسان لرجال المخزن مما خول له نفوذا على عرب الصحراء مثل عشائر رحمان والبواعيش وتوسعت صلاحيات خوجة الخيل بتقادم الزمن، حيث أصبح يتولى قيادة الفرق العسكرية.

9/باش سراج: هو مسؤول عن إسطبلات الباي في عاصمة البايلك[1].

ثالثا: موظفو قصر للباي

1/-قائد المقصورة: ويشغل وظيفة مقتصد قصر الباي الذي يعتني بمسكنه الخاص.

2/باش الفراش: وهو مختص بالاعتناء بمكان نوم الباي، ويتكلف بفراش قاعات القصر.

3/قائد الجبيرة: حامل محافظة الباي، التي هي في الواقع عبارة عن حقيقة جلدية تعلق في مقدمة السرج[2].

4/قائد السيوانة: مكلف بحمل مظلة الباي في الأمطار والحرارة.

5/قائد السبسي: مكلف بالاعتناء (بشيشة) الباي[3].

6/قائد الطاسة: يتكلف بحمل أدوات شرب القهوة والفضة خلال سفر الباي.

7/باش قهواجي: ويقوم بإعداد القهوة وتقديمها للباي وضيوفه بالقصر.

8/قائد الزريبة: وهو البواب الأول لمنزل الباي ويكون من العبيد السود، يدعى أغا الطواشي[1].

[1]- حنيفي هلا يلي: المرجع السابق، ص 140.
[2]- ناصر الدين سعيد وني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 196.
[3]- عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 210.

رابعا: موظفو المدينة الذين يخضعون لقائد الدائرة

تخضع إدارة المدينة إلى قائد الدار مباشرة، وكان تحت تصرفه أمناء الحرف والمهن مثل أمين الفضة وأمين الجبارين والمقدم أي مسؤول عن طائفة اليهود وعدد كبير من الموظفين ويمكن حصرهم فيما يلي:

1- قائد الباب: ويكون مسؤول على السلع التي تدخل إلى أسواق المدينة للتجارة، يستخلص من أصحابها الضرائب والمكوس المطلوبة، وفي العادة يكون له كاتب خاص، وعدد من المعاونين والمساعدين ويجلس بجانب أحد أبواب المدينة.

2- قائد السوق: وهو مفتش الأسواق.

3- قائد الزبل: وهو مسؤول عن تنظيف الشوارع والأسواق والحراس[2].

4- قائد القصبة:وهو مسؤول عن شرطة المدينة، خاصة ليلا، ومن مهامه تنفيذ الأحكام الصادرة في حق المتهمين بالإجرام ومراقبة المؤسسات، يسلم قائد الزبل تقديره عن ما صدر ليلا كل يوم صباحا إلى الباي.

5- البراح: يبلغ أوامر الباي أو قائد الدار في الأسواق، ويرافق الذين صدر في حقهم حكم الإعدام، ويخرج مع شوشي الباي عند خروج هذا الأخير.

6-الباش حمار أو رئيس الحمارين: هو مسؤول عن البغال وعليه توفيرها عند الحاجة إليها في الحملات.

7- وكيل بيت المال: من صلاحيته تقديم المساعدات للفقراء والتعرف في المواريث التي لا صاحب لها، حفر القبور والاعتناء بالمقابر، يوضع تحت تصرفه مبلغ من المال من الخزينة العمومية لمواجهة هذه المشاكل[3].

ومما سبق عرضه ودراسته في هذا المبحث نخلص أن ديوان الأوجاق ذو تركيبة هرمية على رأسها الخليفة، ثم تتوسع إلى أن تصبح شاملة لكل الأطياف الاجتماعية وذلك بغرض التحكم في القبائل.

---

[1]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 50.

[2]- دامر علي شاهزاد: الدور العثماني في مواجهة الاستعمار الغربي، دمشق: 2001م، ص 120.

[3]- عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 211.

إن الإدارة المحلية في البايلك كانت لها نظم داخلية خاصة، وتراتيب إدارية تمثلت في مجموعة من الوظائف والاختصاصات؛ فهناك موظفون قريبون من الباي يساعدونه في حكم البايلك، بعضهم يشكل ديواناً ينظر في شؤون البايلك، والبعض الأخر مكلف بخدمة الباي، كما أن البعض متخصص في نقل أوامر الباي وغيرهم.

وهناك الموظفون القائمون على شؤون المدن، وذلك بتصرفهم في مدن البايلك بالحكم والقضاء والإشراف على النشاط التجاري، وجباية الضرائب والرسوم...إلى غيرها.

المبحث الثاني: نظام الحكم السياسي

تميز بايلك الغرب الجزائري على اختلاف عواصمه من مازونة و تلمسان، و مستغانم ثم معسكر، فوهران على بقية البايلكات الأخرى، بكونه أرض جهاد دائم لمدة تجاوزت قرنين من الزمن، لذلك كان النظام السياسي ببايلك الغرب نظاما عسكريا أكثر منه سياسيا، نظرا لحساسية الفترة، وتنوع العدو المتربص بالعثمانيين.

1- الحاكم:

تعتبر وظيفة الحاكم هي أبرز وظيفة على مستوى الحضري أو على المستوى مجتمع المدينة، بحيث كانت للحاكم مهمات متعددة منها الإشراف على النظام الجبائي و ضمان أمن المدينة، و كذا النظام الإداري والاقتصادي.

نتطرق فيما يلي إلى أهم الموظفين الذين كان لهم تأثير مباشر على الدواخل، لقد كان يتقاسم الإشراف على البايلك أعوان وهم[1]:

أغا والدوايرة، وأغا الزمالة خليفة الباي، الذي كانت سلطته تنحصر في منطقة مليانة و جندل نظرا لبعدهما، وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الحكام تمتعوا بصلاحيات واسعة في المناطق الخاضعة لنفوذهم بدليل أن السلطة العليا بالبايلك ترجع إلى الباي، هذا كما كان للباي إشراف مباشرة على بعض القبائل مثل قبائل بنو عامر، مجاهر، نظرا لما عرفت به هذه القبائل من شغب وإثارة للقلاقل في وجه العثمانيين بالمنطقة.

[1]- عائشة غطاس وآخرون: المرجع السابق، ص 23.

2-الأغوات: وهم غالبا ما كانوا يختارون من العنصر المحلي على عكس البايلك، وكانوا يقومون بدور الوساطة بين الباي و الأهالي، إذ يستمعون إلى شكواهم ثم يعرضونها بدورهم على الباي، وقد حظي أصحاب هذه المناصب بامتيازات مادية عديدة مما جعل منصب الأغوات في أغلب الأحيان محل منافسة شديدة[1].

3-القائد: يختار القائد من طرف الأغا الذي يرشحه، ثم يتم تعينه من طرف الباي، وكان بمثابة همزة وصل بين القبيلة التي ينصب عليها والموظفين الكبار على مستوى البايلك، فهو بذلك يحتل مركز الصدارة في سلم موظفي الإدارة المحلية بالدواخل، ونظرا لأهمية منصب القائد، كان اختياره يقع من بين الأتراك، وأحيانا أخرى من بين الكراغلة، وذلك تفاديا للصراعات القبلية التي قد تحدث أحيانا[2].

تمتد سلطة القائد لتشمل عدة قبائل و عروش تؤلف في مجموعها وحدة إدارة محلية تعرف بالوطن، وتنحصر سلطته أحيانا على مستوى قبيلة كبيرة فقط لتشكل وطنا خاصا بها، و تجدر الإشارة أنه في هذه الحالة كثيرا ما كان شيخ القبيلة يجمع بين لقب شيخ القبيلة و لقب قائد الوطن .

كانت هذه السياسة إحدى وسائل الناجعة لضمان تعبئة أفراد القبيلة ذلك أن الأخيرة لا تشعر بضغط أجنبي عليها ما دام شيخ القبيلة نفسه يقوم بدور القائد، بل انه في بعض الأحيان كان يحتفظ باسم الشيخ، أما الجهات التي لم يصلها نفوذ السلطة المركزية حيث حافظت على استقلالها كان لشيوخها حق التصرف المطلق في شؤونها، و ليس عليهم إزاء الحكام سوى تقديم ضريبة رمزية كلما اضطرتهم الظروف إلى ذلك .

يتمتع القائد بصلاحيات متعددة، فهو يسهر على مراقبة شيوخ القبائل و يقوم باستخلاص الضرائب المستحقة على مراقبة الأمن و تعبئة السكان في حالة الحرب، وله وظيفة قضائية في الأسواق في كثير من الأحيان[3].

[1]- نفسه: ص 24.

[2]- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1997، ص 154.

[3] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص227.

4- شيخ القبيلة : يعد الشخصية الثانية بعد القائد التي تستدعي الاهتمام و يتم تعينه من طرف القائد بعد استشارة رؤساء الدوايرر، وحرصا على الأمن و ضمانا لطاعة أفراد القبائل، أما شيخ القبيلة يختار من القبيلة ذاتها وغالبا ما يكون من بين العائلات الكبيرة .

تكمن أهمية شيخ القبيلة في كونه يلعب دور الوسيط بين أفراد القبيلة الخاضعين للسلطة من جهة ورجال البايلك من جهة أخرى، ومن مهامه جباية الضرائب والسهر على الأمن و إعداد الفرق العسكرية التي تساعد فرق الجيش الانكشاري، و تقسيم الأراضي و الحرص على استغلالها، هذا كله تحت مراقبة مشددة من طرف القائد[1].

5- قائد الدوار: يلي مباشرة شيخ القبيلة و هو كما يفهم من لقبه، له صلاحيات محدودة إذ لا تتجاوز نطاق الدوار و لا تتعدى السكان الذين ينتمون إليه.

I- أهم البايات الذين تولوا حكم البايلك في الفترة ما بين (1779-1830)

- قائمة بأسماء البايات[2]:

اسم البـــــــــاي	الفــترة الزمــنية لحــكمه
أبو عثمان محمد بن عثمان الكبير	1779-1799
عثمان باي بن محمد عثمان	1799-1802
مصطفى بن عبد الله العجمي	1802-1805

[1]- عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 228.

[2]- المهدي بن شهرة: تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران، ط1، دار الريحانة، الجزائر:2007، ص 155.

الباي محمد الملقب بالمقلش	1808-1805
الباي مصطفى العجمي (للمرة الثانية)	1809-1808
محمد بن عثمان أبو كابوس	1813-1809
الباي علي المعروف بقرة يغلي	1826-1813
الباي حسين بن موسى	1830-1826

II- أهم أعمال الباي محمد الكبير وانجازاته:

1-اعتناؤه بالفقراء والمساكين:

في عهده طرد المجاعة باختزان الحبوب وقت حصادها وتوزيعها على الفقراء والمساكين عند الحاجة إليها، حيث كان بنفسه يوزع الألبسة على المحتاجين والعراة من الرعية خاصة في فصل لشتاء البارد القارص، بالإضافة إلى ذلك كان يعالج المرضى الفقراء من ماله الخاص ويداويهم ويتألم لجوعهم و كذلك يوزع الأموال على المحتاجين والطلبة القائمين على خدمة المساجد، وفي كل مناسبة عيد أو موسم أفراح يقوم بإهداء هدايا ثمينة إلى الحرمين الشريفين لخدمة مسجد المدينة المنورة[1].

2- حرصه على الثقافة و المثقفين:

لقد كان يعتني بالثقافة ويحب المثقفين لذلك ساهم في بناء المدارس للطلبة ووفر لهم المؤن وهيا لهم الوسائل التي تساعدهم على المضي قي طلب العلم واكتناز المعرفة، وبنى لهم مدرستين الأولى بمعسكر والثانية بوهران،كان

[1]- احمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص25.

بدوره يعظم العلماء فشيد لهم المساجد ورتب لهم مرتبات زيادة على المنح والهدايا التي يفاجئهم بها بمناسبة الأعياد والأفراح، فأبدعوا عدة كتب في أخلاقه الرفيعة وسيرته المحمودة وخير دليل على ذلك كتاب"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"لمحمد أبي رأس الناصري، وكان يملك الباي يملك مكتبة ضخمة تحتوي على مختارات من شتى المخطوطات، وكان يشجع الأدباء والعلماء بصفة عامة[1].

3-اعتناؤه بالتشييد و البناء :

اعتنى الباي بتجديد مدرستين بتلمسان وارجع إليهما رونقهما وأعاد لهما جمالهما القديم، وأخذت المدرستان تستعيدان قوتهما العلمية من حيث الدراسات الدينية والأدبية[2]، وبالإضافة إلى ذلك بني قصرا جميلا تحيط به حديقة غناء وانشأ السوق العتيق بمعسكر، وكذلك شيد قنوات لنقل المياه بالقنوات إلى المدينة الجديدة بمعسكر ووسع جامع السوق بمعسكر وزاد فيه رواقين من الأمام،كما جدد الجامع العتيق ووسع ساحته وشيد المسجد الذي يحمل اسمه "جامع محمد الكبير، وقد نال هذا الأخير إعجابا كبيرا من طرف الجمهور فراح الشعراء يتغنون به و يترنمون بزخارف جماله وينشدون قصائدهم الرنانة فيه مثل:

الق العصا وفك رحل ركائي بالمسجد المنشئ بأم عسكر

المحكم التشييد في شرفائه فتراه يحسن كالرياض الممطر[3].

[1]- بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، ج1، تحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر: 1990، ص 293.

[2]- احمد بن هطال التلمساني: المصدر المرجع السابق، ص26.

[3]- رشيدة معمر رشيدي: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر أواخر عهد الدايات(1671- 1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر:2005- 2006، ص 206.

توفي محمد الكبير بمدينة معسكر ودفن بها سنة1770هـ الموافق ل 1799 بعدما مكث في الحكم تسعة أعوام كاملة[1].

[1]– احمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 28.

المبحث الثالث: علاقة السلطة العثمانية بقبائل الغرب الجزائري

تعد أحسن طريقة لدارسة علاقة سكان الريف[1] بالبايلك هي التعرض للتنظيم الاجتماعي الذي فرضته السلطات الحاكمة على السكان كي يتسنى للنظام الحاكم الهيمنة الفعلية على البلاد، لذلك قسم مجتمع بايلك الغرب إلى 4 مجموعات وهي قبائل المخزن وقبائل الرعية، قبائل الحليفة والممتنعة[2].

كانت قبائل الغرب قبل فتح وهران مقسمة إلى قسمين:

أ- قبائل خاضعة للأسبان: ويدعون "بالمغاطيس"، ويسميهم الأسبان عرب السلام (moros de Paz) وهم يشكلون السرايا الأهلية لجيش ملك اسبانيا، يشبهون الصبايحية في لباسهم الواسع، ومنهم كرشل، شافع، حميان، أولاد عبد الله، وتنتمي هذه القبائل إلى قبيلتين كبيرتين هما بني راشد الزناتية وبني عامر العربية.

وقد كان من قبيلة بني عامر عبد الرحمن بن رضوان أول من انضم إلى الأسبان بعد أن تأكد من انهزام العثمانيين ومقتل عروج عام 1518، واستمر هذا التحالف بين الأسبان وبني عامر لمدة طويلة، أما الفترة الأخيرة للوجود الاسباني في المنطقة فكانت بين قبيلتين خاضعتين هما قبيلة جاموز، والمنصور بن عوزر.

ب- قبائل خاضعة للعثمانيين: وهي تابعة لباي الغرب الجزائري، وهي الأكثر عددا نذكر منها : البرجية، مهاجر، سجرارة، بني شقران، الزمالة، الدوابر، اليعقوبية[3].

أما بعد تحرير وهران فيمكن أن نميز أربعة أصناف من الأهالي بحسب صلتهم بالحكام من جهة وعلاقة بعضهم ببعض من جهة أخرى[4]:

- سكان متعاونون (قبائل المخزن)

---

[1]- أنظر الملحق رقم 03

[2]- عائشة غطاس وآخرون: المرجع السابق، ص229 .

[3]- عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كنبي عامر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، منشورات مكتبة الحياة، بيروت: ص 34-36 .

[4]- أنظر الملحق رقم 02.

- سكان خاضعون (قبائل الرعية)

- سكان متحالفون (الأحلاف)[1].

- سكان ممتنعون (في المناطق النائية والجبلية)[2].

I- قبائل المخزن وعلاقتها بالسلطة :

ارتبطت الإدارة العثمانية بالجزائر وبالخصوص ببايلك الغرب بمصطلح "المخزن"، ويعود أصل هذه الكلمة إلى المؤسسة الإدارية التي أنشأتها دول المغرب قبل الفتح الإسلامي والمتمثلة في الأعوان الإداريين المكلفين بتسيير وحفظ محصولات الضرائب العينية في المخازن إلى أن أصبح هذا اللفظ يطلق على تلك الإدارة نفسها[3].

- **قبائل المخزن:** هي قبائل متحالفة مع السلطة تتمتع بامتيازات عديدة مقابل التزامات وخدمات تؤديها للسلطة؛ وهي أيضا عبارة عن مجموعات سكانية ذات صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية، ويعرفها سعيد وني[4]:" هي مجموعات سكانية تعميرية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في أعراقها فمنها من أقرها الأتراك على الأراضي التي وجدت عليها لتكون سندا لهم، ومنها من أعطت لها أراضي لتستقر عليها، ومنها من استخدمت كأفراد مغامرين من مناطق مختلفة لتؤلف جماعة عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية"

عرف المزاري بقوله[5]:" إن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت وحيثما وجدت وتملكت وباتت وبالنسبة إليه مخزني ومخازني مفرد المخازنية في تحقيق المباني وسمي كذلك لأنه بصدره ما يؤمله إلى وقت الظفر وحصول الانتقام فيفعله بصاحبه وبه يلزمه".

[1]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 105.

[2]- نفسه: ص 106.

[3]- كاميلية دغموش : المرجع السابق، ص 95.

[4]- ناصر الدين سعيد وني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 258.

[5]- بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، ج1، تحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر:1990، ص 30.

يمكننا تصنيف قبائل المخزن إلى ثلاث أنواع هي: القبائل المحلية العريقة التي كانت تحتل الأراضي الخصبة، الواقعة في المناطق التلية أو القريبة من المدن وقد جعلها موقعها عرضة للحملات العسكرية وسهلة المنال، ولهذا فضلت من البداية التعامل مع العثمانيين مقابل الاحتفاظ بأراضيها والانتفاع ببعض الامتيازات.

هناك قبائل شكلها الأتراك العثمانيين من عناصر غير متجانسة تنحدر من أصول مختلفة وكان معظم أفراد هذه القبائل الاصطناعية من مغامرين، ومغتنمي الفرص والفارين من قبائلهم الأصلية، تفاديا لمبدأ الانتقام، الذي اتخذه ضدهم وكانت الإدارة العثمانية تجند من تلك القبائل فرق الزمالة والقبائل والعبيد.

أما الصنف الثالث من قبائل المخزن فكان يتكون من بعض القبائل المخزن فكان يتكون من بعض القبائل الممتنعة أو المستقلة، التي أرغمت عن طريق القوة على الدخول ضمن قبائل المخزن، إلا أنها لم تكن تلتزم بالوضع الذي فرض عليها، إذ كلما شعرت بضعف الإدارة تقوم بشق عصا الطاعة وتتخلى عن وضعها المخزني لتعود لوضعها الأصلي[1].

تتمثل الوظيفة الأساسية للقبائل المخزنية في ضمان الأمن للبلاد، وذلك يتضح من خلال نقاط تمركزها حول المواقع الإستراتيجية والنقاط الحيوية، فالمتتبع لطريق السلطان * في قسمه الغربي يجد العديد من قبائل المخزن مستقرة حوله، إذ تتمركز قبيلة بوحلوان بالقرب من مليانة وأولاد الصحاري قرب سد الشلف، وقبيلة بن يحي قرب وادي الزوينة[2].

لعل أهم منطقة تمركزت فيها قبائل المخزن في بايلك الغرب هي السهول الوهرانية التي كانت عرضة للتهديد الاسباني والمتعاونين معه من بني عامر وللتمردات والانتفاضات الداخلية، أما باقي المناطق فتواجدهم بها يقتصر غالبا على أغراض اقتصادية وعسكرية وإستراتيجية[3].

[1]- المرجع نفسه: ص 97.

[2]- عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 231.

[3]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ،ج4، المرجع السابق، ص 106.

* الطريق السلطاني الرابط بين وهران والجزائر، ينظر الطرق والمواصلات، لنورالدين بودر بالة، ص 28.

ذكر المزاري[1]" أن مخزن وهران ينقسم إلى قسمين وهما المخزن الشرقي والمخزن الغربي فالشرقي فهو نجع المكاحلية، وأولاد سيدي العربي وصبيح أولاد العباس، وغيرهم من أهل النواحي الشرقية من أولاد مينا إلى واد الشلف، أما القسم الغربي هو نجع الدوابر و الزمالة و الغرابة و البرجية لاغير".

وعليه يمكننا تمييز ثلاث فترات متعاقبة تم من خلالها إقرار قبائل المخزن بالمنطقة الغربية للجزائر تحكمت فيها الظروف التي عاشتها المنطقة[2]:

1- الفترة الأولى : تعود إلى الثلث الأول من القرن السادس عشر، وقد تمكن الأتراك من مصادرة الأراضي كقبيلة الامحال بالسهول الخصبة، بما في ذلك مدينتي أرزيو، مستغانم، و قد استقرت قبائل المخزن في الأراضي المصادرة و بذلك قللت من الخطر الاسباني بالمنطقة .

2- الفترة الثانية التي استقرت فيها قبائل المخزن بالسهول الوهرانية، كانت في نهاية القرن 18م، وتمت فيها مصادرة أراضي عشائر بني عامر و فليته، عقابا لمساعدتها للأسبان و بذلك استطاع الباي مصطفى بوشلاغم توطين الزمالة و الدوابر من جديد بالسهول القريبة من وهران[3].

3- الفترة الثالثة : ارتبطت بطرد الأسبان من وهران سنة 1792 للمرة الثانية والأخيرة، و قد بادر الباي محمد الكبير أثناءها إلى إقرار مجموعة الدوابر و الزمالة بالجهات المحيطة بوهران مباشرة، بعد أن أحس بالحاجة إلى خلق قوة محلية تشد ساعده في صد هجمات الدرقاوة و دسائس المغاربة[4].

[1]- بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 31.

[2]- كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص 98 .

[3]- ناصر الدين سعيد وني: دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر، مجلة الأصالة، عدد 32، السنة الخامسة، 1976 ص 61.

[4]- نفسه: ص62.

اعتمد الأتراك العثمانيون في الأرياف على سند بعض القبائل التي اختلفت تسميتها من مكان إلى آخر، فهناك قبائل المخزن، والعبيد، والزمول والدوابر، إلا انه مهما اختلف وضع تلك القبائل وتسميتها فإنها كانت تعرف كلها بقبائل المخزن[1].

أما من حيث النشاط فإن قبائل المخزن، كان يغلب عليها الطابع الفلاحي، في حين كانت قبائل العبيد، والزمول، والدوابر، تقوم بدور عسكري وتمارس نشاط فلاحي في أوقات السلم[2].

- **أهم القبائل المخزنية ببايلك الغرب:**

لقد كانت كل عشيرة مخزنيه تقوم بتعبئة شبابها، فكل شاب يتعدى ستة عشر(16)سنة، له الحق أن تمنحه عشيرته فرساً وسلاحاً، ويستعد للخروج صحبة جيش الباي للغزو، وعليه يتضاعف عدد الحاملين للسلاح سنويا، وبذلك تزداد القوة العسكرية المخزنية بفرض سيطرتها العسكرية والإدارية على البايلك ومن أهمها قبيلتي الدوابر والزمالة.

أ- الدوابر: تعد من أقوى القبائل في مخزن وهران، استقرت في المنطقة عام 1163هـ/1750م، كانت تتربع على مساحة أراضي تتعدى ألف واربعمئة (140) ألف هكتار، تتقاسم فيها الرئاسة ثلاث مجموعات هي البحايثية، الكراطة والبنادعية[3].

-البحايثية: تنتمي إلى أولاد المسعود من سويد، وينحدرون من عرب بني هلال، المحال المطارف وهي أكثر الفرق التي تتولى رئاسة المخزن.

[1]- أ رزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519/1830م)، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر:2005/2006م، ص 163.

[2]- نفسه ص 164-165.

[3]- سميرة طالي معمر: القوى المحلية ببايلك الغرب أواخر العهد العثماني (1246هـ/1831م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر: 2009/2010، ص 82-83.

– الكراطة: هم أولاد الشريف الكر طي من شرفاء الراشدية بمدينة الكرط إحدى مدن اغريس الغربي، ينتمون إلى قبيلة بني راشد، ويؤلفون من 7 دواوير من الشرايفة، كراستة، فراطسة، لأولاد بن ساعد، أولاد سيدي البشير وأغوط بوحجر[1].

–البناعدية: نسبة إلى جدهم بن عدة بن خده المنحدر من ذرية الشيخ السنوسي وأهلهم من أجواد الحمام الحشم[2].

–الزمالة : تعني الكلمة المخيم الدال على التنقل والترحال، تتكون من فرسان المخزن يرئسها قائد، وقد اختصت الزمالة بتنصيب مناصب الأغا والقايد، على القسمة والعرش تترأسها ثمانية (8) أعراش وهي: الخاليف، القدادرة، القرايدية، الورادية، المخاترة، الونازرة، البيسافة والشرابلية.

بالإضافة إلى الغرابة البرجية وقبائل الحشم، المكاحلية والتي كان لها دور فعال في تدعيم سلطة البايلك[3].

مما لاشك فيه أن قبائل المخزن قد أدت دور الشرطة بكل يقظة وكانت أفضل الأساليب في تدعيم الحكم العثماني بالمنطقة، ولهذا اعتبر كثير من مؤرخي هذه الفترة أن قوة الوجود العثماني كانت تكمن في الاستناد إلى هذه المؤسسة[4].

II–قبائل الرعية وعلاقتها بالسلطة:

كان المجتمع الريفي يتكون أساسا من قبائل الرعية، التي جعل خضوعها المباشر لسلطة البايلك، تتحمل عبئ النظام الضريبي، و بذلك تعد المصدر الأساسي للاقتصاد البلاد و هذا لما كانت توفره من مداخل مالية هامة، و إنتاج زراعي و حيواني[5].

[1]– المزاري بن عودة: المصدر سابق، ص 31.
[2]– نفسه : ص 31.
[3]– نفسه: ص 32.
[4]– عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 226.
[5]– سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 96.

تقيم معظم هذه القبائل في المناطق التي تكون تحت نفوذ الإدارة، المتمثلة في قبائل المخزن، و القبائل المتعاونة معها، و كانت معظم الأراضي الفلاحية الخصبة في يد قبائل المخزن، أما نصيب قبائل الرعية كان ضئيلا جداً[1] .

إن نظام تحديد قبائل الرعية في بايلك الغرب كان متشابكا، ومعقدا في التبعية والولاء لعدة جهات، بحيث قسم البايلك إلى ثلاث مناطق ويعد سهل الشلف من أهم المناطق لكونها توجد بها أراضي خصبة، كما أنها كانت معبرا للطريق السلطاني الرابط بين البايلك ومدينة الجزائر، لذلك فإن إدارة قبائل الرعية أوكلت لخليفة الباي، أما المناطق الأخرى التابعة للبايلك، فكان يتصرف فيها أغوات وقياد الدواير والزمول[2].

لقد كانت قبائل الرعية تتمركز عموما في التافنة، وتشكل شريطا بسبدو، تليلة، مازونة، سعيدة وغيرها، وقسمت إلى عدة مجموعات منها مجموعة خاضعة مباشرة للباي "رعية الباي" والمجموعات الأخرى يتقاسم الإشراف فيها خليفة الباي، وفليتة، وقائد جندل، وقائد المدينة وقايدي اليعقوبية الشرقية والغربية، و فيما يلي نظرة على هذه القبائل[3]:

1. رعية الباي :

كان الإشراف من قبل الباي، مباشرا على قبيلتي بني عامر ومهاجر[4]، وأثناء غيابه يتولى في ذلك نيابة عنه خليفة الكرسي بمساعدة قيادي القبيلتين المذكورين سالفا، تتألف قبيلة بني عامر من ثلاثة بطون كبرى هي: بنو يعقوب، وشافع وبنو حميد، وبالنسبة لقبيلة مهاجر فإنها كانت تتشكل من النجوع التالية: أولاد بوكامل، أولاد معلق الغفارة وأولاد عيناس، ولقد قام الباي محمد بن عثمان بعد فتح وهران بوضع قبيلة من الدواير (قبيلة الحساسنة وسطهم لمراقبتهم، على إثر مشاركة بني عامر في العصيان الذي أعلنته الدرقاوة عام 1219 هـ / 1804 م)[5].

[1]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 250 .
[2]- كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص 107 .
[3]- نفسه: ص 108 .
[4]- عبد القادر المشرفي: المصدر السابق، ص 30.
[5]- سميرة طالي معمر: المرجع السابق ص 98.

2. رعية الخليفة :

تكمن الوظيفة الأساسية في ضمان المواصلات إلى الجزائر الأمر الذي جعله يركز على حوض الشلف الذي كانت تتواجد به ثلاثة وعشرين(23) قبيلة، ونواحي تنس التي كانت تضم 12 قبيلة، أما القبائل التي كانت تحت نفوذه هي:

أ- رعية قائد جندل:

كان يمتد نفوذه إلى ثنية الحد التي كان بمحيطها إحدى عشر(11) قبيلة، وإلى أقصى شرق الونشريس حيث نجده يتحكم في قبيلتي أولاد عنتر وأولاد هلال، وكانت رعيته تتكون من قبائل: عبيد سدرة، بني معيدة، بني بوراشد[1].

ب- رعيته فليته: تشمل القبيلة على عدة بطون وعشائر، بني غليزان، و تيارت، بعضها خضع لباي الغرب الجزائري، والبعض لباي التيطري، ونظرا لخطورتها كان يعين عليها قائد هام، تضم هذه القبائل 21 بطن أهمها: قبيلة المحال وقبيلة شرفة وأولاد سيدي علي بن يحي وأولاد سويد، العناترة...الخ وكان شرف على فليتة عائلة سيدي العربي[2].

ج- رعية نواحي تلمسان:

كان بين نواحي تلمسان قائدان:

-قائد المدينة و يتحكم في بني وعزان، الغسل، أولاد سيدي العبدل، بني سنوس، ولهاصة .

-قائد الجبل و يتحكم في الجويدات، أولاد رياح، بني صميل، بني بوسعيد[3].

د- رعية اليعقوبية :

[1]- نفسه: ص100.

[2]- كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص 108.

[3]- سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 101.

اليعقوب منطقة تقع جنوب معسكر إلى غاية الشرقي[1]، وقد كانت مقسمة إلى قسمين هما: اليعقوبية، الشراقة التابعة لأغا الزمالة و اليعقوبية الغرابة التابعة لأغا الدوايرة[2]، ومن أهم قبائلها نذكر: المهايا، أولاد بالغ، الجعفرية بني مظهر وكانت هذه اليعقوبية تحظى بنوع من الاستقلالية[3].

أما بالنسبة لوضع قبائل الرعية بايلك الغرب فلم يكن مستقرا، ذلك أن هناك منهم من كان يرقى إلى قبائل مخزنية، و هناك من يحول من المخزن إلى الرعية[4]، فمثلا قبيلة مهاجر التي كانت مخزنية، بعد إعلانها العصيان عام 1223هـ/1808م حولت إلى رعية؛ كذلك الأمر بالنسبة لقبيلة الحشم التي تم ضمها للمخزن اثر مساندتها للباي محمد بوكابوس في حربه ضد درقاوة، لكن موقفها مع التيجانين أنزلها إلى مصاف الرعية، وكانت ملزمة بدفع الضرائب بمختلف أنواعها، ووجد العثمانيون من خلال حكمهم للجزائر نظاما ضريبيا متميزا[5]، بالجمع بين الضرائب شرعية وأخرى غير ذلك[6].

III- القبائل الحليفة:

كانت هذه القبائل تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها و زعمائها المحلين، الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني أو كفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم[7]، وتعرف بالقبائل الحليفة لا هو خادم كالمخزن ولا هو خاضع كالرعية ولا هو متمرد كالممتنعة، ولكن طبيعة علاقته مع السلطة تجعل إدراجه ضمن قبائل المخزن أقرب باعتباره الوظيفة الأمنية التي كان يؤديها للبايلك والمتمثلة في إقرار الهدوء في المجتمع الريفي، وقد غلب على العائلات التي تولت حكم المجموعات القبلية المتحالفة في بايلك الغرب

[1]- توفيق دحماني: الضرائب في الجزائر(1206- 1282هـ/1792- 1865م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، ج1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر: 2007- 2008، ص 58.

[2]- كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص 110 .

[3]- نفسه: ص111.

[4]- سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 100.

[5]- توفيق دحماني: المرجع السابق، ص 156.

[6]- حمدان بن خوجة: المصدر السابق، ص 143.

[7]- سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 101.

الطابع الروحي "عائلات المرابطين"، وأبلغ مثال على ذلك يتمثل في قبائل أولاد سيدي الشيخ التي كانت قريبة من البايلك و حليفة له، وقد منحت لها العديد من الامتيازات في مقابل حفظ الأمن في منطقتها[1].

VI- القبائل الممتنعة وعلاقتها بالسلطة :

كانت بعض القبائل الجبلية والصحراوية تمتنع عن دفع الضرائب، وقد ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي و تضاريسها، وكان رفضها هذا، راجع إلى طبيعة نشاطها الاقتصادي، إذ تعتبر أراضيها أفقر الأراضي، مما جعل مردودها الزراعي ضعيف.

انتهجت الإدارة سياسة خاصة إزاء هذا النوع من القبائل، فلم يكن من أولوياتها فرض الضرائب وإنما تحويلها إلى قبائل مخزنية، أو دفع ضريبة رمزية، تعبيرا عن ولائها وتبعيتها للإدارة[2] .

ولهذا هناك من يرى أن الإدارة كانت تسمح لذلك القبائل بأن تعين قضاتها وأن تمارس العدالة حسب هواها ودفع الضرائب المقررة عليها بانتظام، وإن امتنعت عن دفعها، فإن الإدارة تضطر إلى شن حملات عسكرية ضدها، فمثلا قبائل ريغة الواقعة بضواحي مليانة كانت في حرب دائمة مع سلطة البايلك نظرا لامتناعها عن دفع الضرائب وكذا قبيلة بني فراح وجندل والعطاف التي أعلنت عصيانها فأحرقت منازلهم وخيامهم، وصودرت أملاكهم، أما هم فقد تم تشريدهم من مناطق عدة من بايلك الغرب[3].

هذا التمرد والامتناع الذي اتبعته هذه القبائل جعل الحكومة المركزية ببايلك الغرب تعمل جاهدة إلى الحد من استقلالهم وملاحقتهم عن طريق تنصيب حاميات عسكرية، وإقرار قبائل المخزن في المناطق الإستراتيجية التي تتحكم فيها الأقاليم الخاصة بقبائل المستقلة[4].

---

[1]- كمال بن صحراوي: أوضاع ريف بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران: (2012-2013) ص 274.

[2]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 190.

[3]- سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 101، 102.

[4]- نفسه : ص 103.

إن ما ميز قبائل الغرب الجزائري طوال فترة الحكم العثماني هو عدم تمكن الإدارة العثمانية من إخضاعها بصفة نهائية، فكلما أخضعتها وصمتها إلى القبائل المخزنية عن طريق القوة، سرعان ما تعود إلى وضعها الأصلي بمجرد شعورها بضعف الإدارة، وذلك ما كان على الإدارة سوى استعمال القوة لإجبارها وإخضاعها، وقد استمرت هذه الظاهرة إلى دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830.

وفيما يلي جدول يوضح و يبرز الطابع العسكري لبايلك الغرب:

طبيعة العلاقة	دار السلطان	بايلك التيطري	بايلك الغرب	بايلك قسنطينة
قبائل مخزنية محاربة	19	09	36	25
مخزنية غير محاربة		05	10	22
قبائل الرعية	11	23	56	14
قبائل حليفة و متعاونة	20	12	29	25
قبائل مستقلة	23	13	26	138

وكقراءة بسيطة لهذا الجدول يتبين لنا الصبغة العسكرية لبايلك الغرب إذ تمركزت به ستة وأربعين(46)قبيلة مخزنية من بينها ستة وثلاثين(36) محاربة أي بنسبة ثمانية وسبعين فاصلة ستة وعشرين بالمائة(78,26%)[1].

وعليه يمكن القول أن علاقة السلطة العثمانية بقبائل الغرب الجزائري قائمة على تحالف وإخضاع واستعمال القوة لاستمالة بعض القبائل، فالمتحالفة تمثلت في قبائل المخزن والتي ساهمت في مساعدة حكام البايلك من أجل حفظ الامن والاستقرار، أما الخاضعة فتمثلت في قبائل الرعية وكان دورها تدعيم خزينة البايلك من خلال الضرائب المفروضة عليها، أما الممتنعة فاضطرت السلطة إلى استعمال القوة للحد من نفوذها.

[1]- عائشة غطاس وآخرون: المرجع السابق، ص 232.

خاتمة الفصل الأول:

وما يمكن أن نستخلصه من هذا الفصل:

أن الجهاز الإداري الذي استخدمته السلطة العثمانية في بايلك الغرب لا يختلف عن سائر البايلكات (قسنطينة، التيطري)؛ فالإدارة المحلية للبايلك لها نظم إدارية تمثلت في، مجموعة من الوظائف يقوم بها الباي والموظفين من خليفة وقياد لتسيير شؤون الباي و البايلك، خاصة أن هذا الأخير له خصوصية ميزته عن البايلكات الأخرى وهي الطابع العسكري.

كما أن السلطة الفعلية في البايلك في يد القوى القبلية، لذلك قسمنا قبائل الغرب حسب علاقتهم بالسلطة العثمانية؛ إلى قبائل متعاونة والتي كان لها دور هام في حفظ الأمن ودعم خزينة البايلك عن طريق استخلاص الضرائب، على غرار قبائل المخزن والقبائل الحليفة، وقسم آخر خاضع للسلطة وهي قبائل الرعية التي حملت على عاتقها أعباء تلك الضرائب، وهناك قسم مستقل أو معارض يتمثل في القبائل الممتنعة عن سلطة البايلك.

وبفضل اعتماد الإدارة العثمانية على القبائل المتعاونة استطاعت مد نفوذها إلى مختلف حدود البايلك، كما ساعدها للسيطرة على القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب والقضاء على التمردات التي شهدها البايلك أواخر العهد العثماني كثورة الدرقاوة، التيجانية.

الفصل الثاني

بايلك الغرب إقتصاديا

المبحث الأول: الزراعة

المبحث الثاني: الصناعة

المبحث الثالث: قطاع الخدمات

عرف النشاط الاقتصادي الجزائري في العهد العثماني تطورا ملحوظا واختص بعدة مميزات نحاول التطرق لها من خلال عرض مختلف المنتجات الزراعية والحرف الصناعية والمهن اليدوية وكذا المبادلات التجارية التي مرت بعدة مراحل متعاقبة من الازدهار والانكماش[1], مع تتبع الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف وساعدت على سوء الأحوال الاقتصادية, لاسيما في الفترة الأخيرة من العهد العثماني[2].

[1]– زوليخة سماعيلي المولودة علوش: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الاستقلال, ط1, دار دزاير أنفو، الجزائر: 2013، ص 283.

[2]– ناصر الدين سعيد وني: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 50.

المبحث الأول: الزراعة

كانت أخصب الأراضي ملكاً لأفراد الطائفة التركية, وجماعة الكراغلة والحضر الموسرين، كما شأن حمدان خوجة الذي يذكر عن نفسه [1]"أنني أحد المالكين في متيجة وأزرع سنوياً في هذا السهل ولحسابي الخاص مئة وستين (160)حمولة*"وكان هؤلاء الأغنياء يستعينون بالفلاحين لخدمة بساتينهم مقابل خمس الإنتاج, أو ببعض العبيد والأسرى المسيحيين.

كانت السهول التلية هي الأرض الخصبة الصالحة للزراعة والإنتاج, لكن وهران على اتساعه وخصوبته وصحة هوائه لم يكن مستغلاً بطريقة حكيمة هذا راجع إلى الحروب التي كانت مسرحاً لها؛ ففي بداية القرن 18م[2]، تمكنت الجزائر من تحرير وهران والمرسى الكبير سنة 1708م في عهد الداي محمد بقطاش على يد باي الغرب مصطفى بوشلاغم، ولكن إسبانيا عادت واحتلتهما ثانية سنة 1732م بعد أن دافع عنهما بوشلاغم دفاعاً مستميتاً، ولكن الإسبان لم يهنئا باحتلالهما، إذ ضرب الجزائريون حولهما حصاراً طويلاً وضيقوا عليهم؛ حتى اضطرت إسبانيا إلى القبول بإعادتهم للجزائر بناء على معاهدة 1792م[3].

وبعد هزيمة الإسبان حلت قبائل الدوائر والزمالة التي كانت متحالفة مع الحكم العثماني محل القبائل التي كانت تتعامل مع الإسبان، مثل بني عامر وفليتة في سهل وهران وبدلك عادت وهران إلى الحكم العثماني عام1791م, أصبحت قبائل الدوائر والزمالة متسلطة على بقية القبائل في منطقة وهران وترفعت عن حراثة الأرض والعناية بها.

رغم جودة سهل وهران فإنه كان مغطى بالأعشاب الطفيلية والأشجار غير المثمرة, وكانت الدولة تملك منه حوالي ثمانية وسبعين بالمائة(78%)[4].

* حمل من القمح بحوالي مائة(100) أو مائة وعشرين(120) من الشعير.

[1] -حنيفي هلا يلي: المرجع السابق، ص 153

[2] - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، دار المعرفة، الجزائر: 2009، ص 150، 151.

[3] - عادل أنور خضر: أطلس تاريخ الجزائر، للمراجعة التاريخية ناجي يحي، ط1، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران: 1434هـ-2013م، ص 108.

[4] - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص150، 151.

وبذلك عاشت قبائل الدوائر والزمالة على سهل وهران, وقد كانوا أشبه ببدو متنقلين فلم ينتجوا إلا قليلاً من القمح والشعير وبعض الغنم والبقر، كان معاشهم من الكسرة والحليب والجبن, الزبدة وعليه فإن الأرض لم تكن تكفيهم ماداموا لم يعتنوا بها لذلك اعتمدوا في معاشهم على الغنائم التي كانوا ينالونها بعد الحروب مع القبائل المجاورة أو التي يتلقونها من السلطة العثمانية مقابل تحالفهم معها.

لم يكن سهل وهران هو الوحيد, بل كانت هناك سهول من بينها سهل غريس ومستغانم، تلمسان ومعسكر، فكان سهل تلمسان ينتج القمح والزيت بوفرة في الحين كانت المناطق الساحلية من الحدود المغربية إلى رأس فلكون تنتج الشمع، واعتبر سهل غريس المصدر الرئيسي للجنوب في كامل الغرب الجزائري، أما عن سهل مستغانم فقد كان ينتج القمح الأرز، وكانت الحدائق الجميلة تحوط بالمنازل الساحلية التي كان يمتلكها الأغنياء من العرب باحتكارها من طرف العثمانيين[1].

ما يمكن قوله أن الزراعة تحكمت فيها طبيعة الملكية وكيفية استعمال الأرض التي أثرت فيها ظروف وعوامل مختلفة, وكانت هناك عدة أنواع من الأراضي أهمها[2]:

1-أملاك الباي: تعتبر ملكية خاصة, تضم أحسن الأراضي المسقية والصالحة لكل أنواع منتجات الفلاحة, حيث يقوم بفلاحتها بواسطة أعمال السخرة التي يفرضها الأتراك على قبائل الرعية, وإذا كانت غير كافية فإن الباي يستغل الخماسين الذين يتلقون من الدولة الحيوانات والبذور, ويتقاضون خمس(5/1) الإنتاج كأجر لهم[3].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص151،152.

[2] - زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق, ص287.

* وهي الضرائب على المحصول. أنظر عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 80.

** كان باي الغرب يدفع عشرة الآلف(10000) صاع قمحًا, ومثلها شعيرًا, ويوزع على أصحاب الدولة وخدامهم نحو ألفي صاع قمح وشعير, والغنم ستة الآلف (60000) رأس, ويوزع أيضًا على أصحاب الدولة مرتين في السنة, في أفريل وسبتمبر, ويعطي العوائد في العيدين الصغير والكبير, ويوم عاشوراء والمولد النبوي الشريف, للأمير ووزرائه كتابه وجميع خدمه.أنظر مذكرات احمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص47.

كان أصحاب هذه الأراضي يستغلونها مباشرة, و لا يتوجب عليهم إزاء الدولة سوى فريضتا العُشر* وزكاة**, وقد كانت تتصف بعدم الاستقرار وبصغر المساحة نظرًا لخضوعها لأحكام الوراثة والبيع والشراء, لتعرضها في كثير الأحيان إلى المصادرة والحيازة من طرف الحكام ولوقوع أغلبها في المناطق الجبلية المكتظة بالسكان, أو بجوار المدن حيث يكثر الإقبال على امتلاكها من طرف سكان المدن وموظفي الدولة, مثل: الملكيات الواقعة بالقرب من مدن الجزائر, قسنطينة, وهران التي أصبحت في حوزة بعض الأتراك و الكراغلة والحضر, واشتهرت ملكية بايات الغرب بمصرغين والدار البيضاء بالقرب من وهران[1].

فالملكيات الخاصة كانت تؤخذ عليه ضريبة العُشر والزكاة التي كانت تحدد حسب عدد الجابدات بحيث كان يؤخذ على الجابدة صاع من القمح والشعير, وتضيف بعض القبائل حمولتين من التين ومقدار من الزبدة, وبعض الدواجن كالدجاج.

قدرت ضريبة العُشر والزكاة التي تؤخذ من الشرق الجزائري ب20.762صاع من الحبوب نصفها من القمح والنصف الآخر من الشعير, وفي بايلك التيطري بلغت ألف وثلاثمائة وثلاثون (1330)حمولة جمل[2].

2-أراضي البايلك: وهي الأراضي التابعة للدولة وتسمى بالعزل, وغالباً ما كانت تصادر من القبائل الثائرة, تتنازل عنها الدولة لصالح كبار الموظفين والقبائل التي تدعى العزل كما تقدم المقاتلين للسلطة التركية, زيادة على تخصيص جزء من المحاصيل الزراعية للباي والفلاحين, مقابل دفع الإتاوات المفروضة عليهم[3], وأغلب أراضي البايلك توجد بمنطقة دار السلطان, قسنطينة, وهران ففي نواحي هذه الأخيرة كانت ملكيات البايلك تمتد على عدة آلاف من الهكتارات أغلبها يقع بالسهول القريبة من المدينة حيث تقيم عشائر الدوائر والزمالة التي استقرت في الأماكن التي كانت تقيم عليها القبائل المعادية للأتراك كالاحمال أو المتعاملة مع الأسبان كبني عامر وفليتة.

[1] - زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق, ص287.

[2] - نفسه: ص280.

[3] - حنيفي هلا يلي: المرجع السابق, ص154.

أما استغلال أراضي البايلك فكان يتم مباشرة من طرف الحكام الذين يستخدمون الخماسة مزارع (رتب) البايلك, أو يلتجئن إلى تسخير قبائل الرعية "التويزة" عندما يتعذر الاستغلال المباشر تعطى لذوي النفوذ والمكانة مثل: المرابطين وشيوخ القبائل الكبرى والعشائر المهمة المتعاملين مع البايلك[1].

وفي بعض الأحيان تسلم أراضي الدولة إلى عشائر المخزن لتستغلها وتقيم عليها مقابل خدمات عسكرية ومهام إدارية, ولا تدفع عنها سوى فريضة العشر, وهو صاع من القمح والشعير للجابدة الواحدة.هذا قد يلجأ الحكام إلى كراء أراضي البايلك لسكان الدواوير المجاورة وعرف هذا الكراء الحكور*, الذي بلغ في أغلب الأحيان اثني عشرا (12)صاعاً من القمح واثني عشرا(12)صاعاً من الشعير على الجابدة الواحدة أي حوالي خمسين بالمائة (50 %)من إنتاج الأرض[2].

أراضي البايلك كان مردودها يختلف باختلاف نوعية استغلالها فكان يؤخذ منها محصول عيني إذا استغلت مباشرة باستخدام الخماسة** وتسخير الرعية "التويزة" كذلك أخذ كراء سنوي محدد "الحكور"، بحيث قدر في الشرق الجزائري بعشر(10)ريالات تسلم نقداً, أي ما يقدر بمائة وسبعة وثلاثون ألف وخمسمائة وسبعة أربعون(137.547) ريال بوجو عن كل جابدة وفي بعض الأحيان تعطى كإقطاع لذوي النفوذ والمكانة مقابل دفع رسم سنوي لا يتجاوز 4ريالات عن كل جابدة باعتباره عشور أو كراء منخفضاً، كما هو شأن الأراضي التي يقيم عليها قبائل المخزن التي كانت توفر لبايلك الشرق ألفين وثلاثمائة وخمسة وأربعين(2345)قيسة قمح وشعير[3].

[1] – ناصر الدين سعيد وني: الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني, ط2, البصائر, الجزائر: 2013, ص 83، 84.

* وهو الإيجار الذي يدفعه الفلاحون مقابل استثمارهم للأراضي التي تملكها الدولة، أو هو كراء سنوي كان يدفع عادة نقدا. توفيق دحماني: المرجع السابق، ص 176.

[2] – ناصر الدين سعيد وني: الملكية والجباية، المرجع السابق، ص 83.

* *هي ممارسة الفلاح لكل أعمال الفلاحة في أراضي غيره مقابل الحصول على خمس الإنتاج (5/1). حمادي بن موسى: المرجع السابق، س 9:30.

[3] – زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق, ص280،281.

3-**الأراضي المشاعة:** وهي شكل من أشكال الملكية للجماعة القبلية توجه بالأساس إلى استغلالها كمراعي في المناطق السهلية.

وتنقسم هذه الأراضي بدورها إلى جزئين: فالجزء الأعظم منها غير قابل للتقسيم وتستعمل من طرف جميع أعضاء القبيلة كمناطق للرعي والجزء الثاني نراه يخصص للفلاحة ويوزع بين العائلات ليستغل[1], وتعرف هذه الأراضي في الجهات الشرقية بأراضي "العرش", وفي بعض النواحي الغربية بأراضي" السبيقة", وهذا ما جعل طريقة الاستغلال تخضع لحاجة أفراد القبيلة حسب مقدرتهم وإمكانياتهم, بينما تترك الأجزاء غير المستغلة منها للرعي وعند تغيب أحد الأفراد, أو إثبات إهماله لحصته من الأرض, فيتولى أعيان الجماعة تسليم الأرض لمن يقوم بخدمتها هذا ما يقوم به الدوار الدشرة[2].

تفرض الدولة على هذا الضعف من الأراضي غرامة سنوية وتأخذ منها في بعض الأحيان اللزمة* أو المعونة, الخطية وكانت الغرامة تدفع نقداً في الغالب بينما اللزمة و المعونة تستخلص من الإنتاج ويضاف لها بعض المقادير من النقود, هذا بالإضافة إلى مطالبة الحكام مستغلي الأرضي المشاعة ببعض الضرائب الفصلية, التي كانت تعرف بالعوائد مثل ضيفة الباي وضيفة الدنوش, وخيل الرعية, حق البرنوس ومهر الباشا والفرس والفرح والبشارة وغيرها بلغت قيمة ضيفة الدنوش بايلك التيطري أواخر العهد العثماني مائتين وثمانية وأربعين ألف(248.000)ريال بوجو, وقدرت قيمة الفرح و البشارة ببايلك الشرق في نفس الفترة بعشرين(20) ألف ريال بوجو[3].

كانت هذه الضرائب مفروضة على السكان المستقرين على الأراضي المشاعة, ليس محددة لا من حيث النوعية ولا من حيث الكمية, فبعضها يؤخذ عيناً و البعض الآخر يستخلص نقداً؛ كما أنها كانت تتصف بالتعدد و اختلاف التسميات بحيث أصبحت متداخلة لا تخضع لأي ترتيب مثل الضرائب المعروفة بالعوائد التي

[1] – عبد السلام فيلالي: الجزائر الدولة و المجتمع, ط1, دار الوسام العربي, الجزائر:1434هـ-2013م، ص86.

1 – حنيفي هلا يلي: المرجع السابق, ص 84. وينظر ناصر الدين سعيد وني: المرجع السابق, ص 53

* كان باي الغرب يقدم بين يدي الأمير كما قدمنا 80 ألف ريال صغيرة كوارط و هو من تقدم في الملاقاة و الضيافة , أما هديته وعوائده التي يدفعها اقل من باي الغرب وكل الخلفاء يدفعون اللزمة كل ستة(6) أشهر نصف ما يدفعه البايات, أنظر مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، ص 46.

[3] – ناصر الدين سعيد وني: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق, ص 53.

ترتبط كميتها بقوة المحلة الفصلية, و فعالية فرسان المخزن وبالتالي كلما زادت قوة المحلة ويبرهن فرسان المخزن على جديتهم و مهاراتهم كلما زادت كميتها و تنوعت أصنافها[1].

4-**أراضي الوقف:** أراضي حبست للأنفاق على الأعمال الخيرية, أو المؤسسات الدينية أو يعود ذلك على أصحاب الوقف "وقف أهلي ", أوكل التصرف فيها لناظر الأوقاف و مساعديه من الوكلاء و الشواش, وقد انتشرت الأوقاف في أواخر العهد العثماني, و تركزت الأراضي التابعة لها بالقرب من المدن الكبرى, وقد بلغ عدد الملكيات الزراعية الموقوفة بفحص مدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي 1830, أكثر من ألف وست مئة(1600) ملكية مابين بستان وحديقة, حقل و مزرعة أكد البعض أن الأوقاف كانت تشمل ثلاثة أرباع الأراضي الصالحة للزراعة بالمناطق الخاضعة مباشرة للبايلك, بحيث أصبحت تشكل أحد أنماط الملكية الشائعة ولا يماثلها من حيث الأهمية وسعة المساحة بجوار المدن سوى الملكيات الخاصة, أو أراضي البايلك.

ونظراً للأحكام الشرعية المتعلقة بالأراضي الموقوفة والمعاملات القانونية الخاضعة لها فإنها لا تخضع لقوانين البيع ولا تتماشى وأحكام الوراثة, بمعنى أنها لا تُفرض عليها أية ضريبة أو رسوم, كونها لم تتعرض لأية مصادرة أو حجز من طرف الحكام.

5-أراضي الموات : هي أراضي تركت بدون استغلال, أو التي كانت غير صالحة للفلاحة رغم إمكانية امتلاكها و الانتفاع بها شريطة إحيائها, إلا أن الأهالي بالأرياف لم يكونوا يقبلون على استثمارها لاسيما أواخر الفترة العثمانية, التي تميزت بانتشار هذا النوع من الأراضي بعد عزوف كثير من السكان عن ممارسة الفلاحة امتهان الرعي[2].

نتج عن طبيعة الملكية و كيفية استغلال الأرض اضطراب في توزيع السكان واختلال في نسبة الكثافة السكانية, فأصبحت المناطق السهلية الخصبة حيث تستقر قبائل المخزن وتقيم الحاميات التركية التي تتميز بقلة سكانها, بينما المناطق الجبلية والهضاب الفقيرة, الواحات النائية تشتهر بكثرة سكانها, بذلك أصبحت مناطق

[1]- حنيفي هلا يلي: المرجع السابق، ص 84.

[2]- ناصر الدين سعيد وني: الملكية والجباية، المرجع السابق، ص 83.

الطرد البشري{الجبال-الهضاب-الصحراء} كثيفة السكان, ومناطق الجذب البشري {السهل الخصبة} فقيرة من السكان, مما سيترك آثار سلبية على أوضاع الفلاحة و حالة السكان[1].

كان المجتمع الجزائري مجتمعاً فلاحياً في العهد التركي, بحيث قدر بعض المؤرخين نسبة سكان الأرياف بأكثر من تسعين بالمائة(90%), وبذلك تعرضت البلاد لكثير من المجاعات, نتيجة فترات الجفاف الدورية, غالباً ما كان هذا الأخير مصحوباً بغزو الجراد وانتشار الأوبئة وإتلاف المزروعات, كما كانت الفلاحة تعاني من قساوة الطبيعة, كذلك عانت ضعف مستوى وسائل الإنتاج التي لم تسعى السلطة التركية لتطويرها إلا في أواخر القرن 18م, حينما بدأت موارد القرصنة تتراجع والحاجة لتصدير المنتجات الزراعية تزداد[2].

رغم إدخال الأندلسيين زراعات جديدة وتطويرهم وسائل الري, وإنشاء الحنايا والسواقي خلال الفترة الأولى من العهد العثماني, فإن أوضاع الفلاحة لم تتطور منذ أواخر القرن 17م, فاقتصر الفلاحون على استعمال ألآت البسيطة التي أصبحت منذ أواخر القرن 18م لا تتعدى المحراث الخشبي المكون من قطعتين قصيرتين مجتمعتين, و المزود بسكة حديدية في طرفه الأسفل, وحالت دون تعمقه في التربة حيث اقتصر أثره على ملامسة الأرض وطريقة ربطه في عنق الحيوان التي تحد من قوة الدفع, بدل وضعه على جبهة حتى يستطيع جره بقوة.

كذلك يستعمل المنجل البسيط الذي يتلف السنابل أكثر مما يحصدها و الالتجاء إلى رماد الأعشاب المحروقة وفضلات الحيوانات لإخصاب التربة, عند عدم توفر هذه الأسمدة يلجئ الفلاح إلى ترك الأرض بوراً لمدة سنة أو أكثر لتستعيد خصوبتها[3].

شكلت العائلة الوحدة الإنتاجية و الاستهلاكية في الوقت نفسه, حيث نجد بعض الأرضي تنتج من أجل السوق, كما هو الحال في فحص مدينة الجزائر المحيطة بالمدن تنتج الخضر والفواكه, وعليه فأن الإنتاج كان لإشباع حاجة أفراد العائلة. أما السوق فتأتي في المرتبة الثانية مرتبطة بتحقيق الفائض والحصول على منتجات صناعية أو زراعية ليست من اختصاص الفلاحين ,نتيجة اختلاف الظروف الطبيعية وضرورة توفير ما يجب دفعه من ضريبة

[1]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 54.
[2]- صالح عباد: المرجع السابق، ص 511.
[3]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: المرجع السابق, ج4، ص 54.

نقدية, اشتغل سكان المناطق الجبلية, وسكان السهول القريبة من المدن بزراعة الخضر و الفواكه بصفة عامة إلى جانب تربية الماشية, كما تنتج أرياف مدينة الجزائر الكثير من العنب، لأن السلطة كانت تسمح لكل فرد أن يشتري منه لصناعة الخمر ,فكانت المناطق الجبلية والسهلية منتجة لزيت الزيتون و التين, هذا الأخير كان يجفف ويباع في مختلف جهات البلاد, كما يصدر منه نحو الخارج, واشتغل سكان السهول العليا بزراعة الحبوب وتربية الماشية .كما شجع الباي محمد الكبير إنتاج الحبوب في الناحية الغربية بتصديرها نحو الخارج[1].

المحاصيل الزراعية:

كانت الجزائر في العهد العثماني تتوفر على إنتاج محاصيل زراعية متعددة منها: الحبوب اختلفت نوعيتها من جهة إلى أخرى, إذا كانت مناطق الأطلس التل والهضاب الداخلية تنتج نوعاً جيداً ما عرف بالقمح الصلب الذي يصنع منه الخبز الجيد, وهو يتفوق في نوعيته على قمح سردانية المشهور, بحيث يقبل التُجار الأجانب على تصديره وتزويد الأسواق الأوروبية منه, أما المناطق الساحلية وبعض السهول المنخفضة, فكانت تنتج قمحاً ذو نوعية رديئة نظراً لنوعية التربة و ارتفاع الرطوبة, ونسبة التساقط .

باعتبار الحبوب مادة رئيسية للاستهلاك المحلي والتصدير الخارجي ,فقد عملت الدولة جاهدة للسيطرة على المساحات المخصصة لزراعة الحبوب, والتي كانت تنتشر حول اغريس, قلعة بني راشد، مستغانم, وتلمسان, فقدرت مساحة أراضي الحبوب التي يمتلكها البايلك في الغرب ما يناهز ثلاثة آلاف وخمسمائة (3500) جابدة[2], بالإضافة إلى 5212جابدة موزعة على موظفي الدولة مقابل الأجور والترضيات في مختلف الأقاليم, علماً أن مساحة الجابدة الواحدة يتراوح مابين ثمانية وعشر(8 و10)هكتارات.

هذه المساحات من الأراضي المستغلة في زراعة الحبوب كانت تمد الدولة بإنتاج ضخم بعضه يستهلك محلياً من طرف الفلاحين وسكان المدن, والبعض الآخر يصدر للخارج. بحيث تميزت السنوات الأخيرة من القرن 18م وحتى 1815م بإنتاجها الوفير, مما سمح للبايلك بتصدير مئة وخمسين(150)ألف شحنة عام 1708م من

[1] – صالح عباد: المرجع السابق, ص512.

[2] – أحمد بحري: الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج2، دار الكفاية، الجزائر: 2013، ص 224.

موانئ الإيالة, بينما السنوات الأخيرة من العهد العثماني 1816-1830م تميزت بقلة الإنتاج, ورداءة المحصول الذي لم يعد يتجاوز عشية الاحتلال سوى سبعة آلاف وخمسمائة(7500.000) قنطار[1].

أ-الأشجار المثمرة: كالتين, والزيتون, البرتقال, العنب والخوخ, حب الملوك والمشمش, ارتبط هذا النوع من الزراعة بالمناطق الجبلية, و ازدهرت البساتين بأراضي الفحوص المحيطة بالمدن الرئيسية كوهران, معسكر, تلمسان[2].

ب-البقول والخضار: بمختلف أنواعها كالطماطم, الخيار, البصل, البطاطس والفلفل, الدلاع و البطيخ الطويل, الذي أصبحت فحوص المدن تنتج منه كميات كبيرة توجه إلى أسواق المدن للاستهلاك.

وقد حفظت سجلات الدولة ومذكرات الرحالة أسعار مختلف هذه البقول والثمار على سبيل المثال, كانت مئة(100)حبة من البصل تُباع بثلاثين (30)سنتيم, ومائة (100)حبة طماطم ما يعادل فرنكاً واحداً عند نزول الجيش الفرنسي بمدينة الجزائر سنة 1830م[3].

ج -المزروعات ذات الطابع التجاري: كالقطن والكتان, التبغ والأرز، فكان هذا الأخير ينتج بنواحي مليانة * المتاخمة لنهر الشلف وبالقرب من معسكر و مستغانم, حيث بلغ ما كان ينتج منه أواخر القرن 18م ستة(6)آلاف صاع, وكذلك القطن كان ينبت في سهول مينا, الشلف وجهات مستغانم, يضاف إلى هذه المزروعات إنتاج العسل والشمع التي كانت تشتهر به الأقاليم الجبلية ببايلك الغرب الممتدة من رأس فالكون إلى الحدود المغربية, فكان الأهالي يستهلكون جزءاً منه ويبيعون الباقي لوكلاء البايلك.

د-الثروة الحيوانية: كانت تتوفر على أعداد ضخمة من الحيوانات كالأغنام, الماعز, الأبقار الخيل, البغال والحمير, كما اشتهرت أغلب الأصناف المستعملة في النقل والجر بتحملها للتعب وتكيفها مع مناخ مختلف مناطق

---

[1] - ناصر الدين سعيد وني: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص58.

[2] - ناصر الدين سعيد وني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر: 1979, ص32.

[3] - زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق، ص 289،290.

* يتسم سكانها بنوع من العناد, أرضهم خصبة للغاية, وهم فلاحون وثمرهم ممتاز انظر حمدان خوجة: المرآة, ص96.

البلاد, وان كانت تحتاج للتهجين والمراعي الاصطناعية والعلف الاحتياطي, وبذلك الذي يحد من تكاثرها الجفاف وانعدام الأمن, وانتشار الأمراض[1].

وفرت هذه الحيوانات كميات كبيرة من الصوف والوبر التي كانت تستعمل في صنع الخيام، ونسج البرانس والأردية أو تصدر إلى الخارج بواسطة التجار الأوروبيين واليهود، كانت هذه الحيوانات مصدر العيش الرئيسي في الجهات السهبية كمنطقة النمامشة التي كانت تعتمد أساساً على تربية الأغنام والجمال, تنتقل معها عبر المجال الرعوي قدرت مساحته بمليوني هكتار تكفي لتربية ما يمتلكه السكان هناك من حيوانات: أثنين وثلاثين ألف (32.000)خروف, وألف (1000) عنزة، ألف (1000)بقرة, ألفين(2000)بغل, سبع مئة (700) حصان, وعدد ضخم من الجمال.

اشتهرت بعض الأقاليم الجزائرية بالمحافظة على أنواع أصلية من الخيول العربية, التي تتصف بحجمها وعصبية طبعها وشدة مقاومتها, هذا ما نجده في فليتة و الشلف, وكان الكثير من الفرسان يفضلون خيول حميان و اليعقوبية بجنوب معسكر[2].

وما يمكن قوله في الأخير:

كان في بايلك الغرب مجموعة من السهول كسهل وهران، غريس، ومستغانم يتنج القمح والأرز والزيوت باعتبار الحبوب المصدر الرئيسي في كامل الغرب الجزائري؛ وعليه فإن الزراعة تحكمت فيها طبيعة الملكية وكيفية استعمال الأرض على غرار أملاك الباي التي كانت تضم أحسن الأراضي الصالحة للفلاحة، وكذلك أراضي البايلك التابعة للدولة، والأراضي المشاعة والوقف وأراضي الأموات.

كما كانت هناك مجموعة من المحاصيل الزراعية المتنوعة: الزيوت، التين، الطماطم، البصل، القطن، الكتان، والثورة الحيوانية من خيول ولأبقار.

[1] – ناصر الدين سعيد وني: الجزائر في التاريخ, ج4، المرجع السابق, ص59-60.

[2] – زوليخة سماعيلي المولودة علوش, المرجع السابق, ص292-293.

المبحث الثاني: الصناعة

ظل بايلك الغرب متواضعاً لا يتعدى الصناعات المحلية اليدوية, وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة, فالصناعات المحلية التي استمدت تقاليدها من الماضي معتمدة في نشاطها على إرضاء متطلبات أسواق المدن و الأرياف من المصنوعات اليدوية مثل, صناعة الأغطية الصوفية والأحزمة الحمراء بتلمسان, والفخار بندرومة, والأحذية و الزرابي بقلعة بني راشد[1].

كانت تلمسان تملك عدد من معامل الصوف يصنع فيها نوع من الأقمشة العادية التي يستعملها الجيش, كما تصنع فيها المحا زم التي بلغ عرضها أربع (04) بوصات, حيث أنها تنسج* نسجاً متيناً و بذلك تنقل إلى كامل أنحاءالبلاد[2].

بالإضافة إلى هذه الصناعات صناعة البرانس و الحياك وغيرها فقد عرفت هي الأخرى تطوراً كبيراً, لكن لم تواكب هذه الأخيرة التحولات التي تجري في أوروبا بعد حركة الاستنارة, وظهور الثورة الصناعية التي كانت من الأسباب الرئيسية للتفوق التكنولوجي والتطور العلمي, هذا من خلال تحديد مصير العالم على المستوى الحضاري والنظام العالمي الجديد[3].

كانت معسكر هي كذلك اشتهرت بصناعة البرانس** الشهيرة السوداء ذات اللون الطبيعي والأقمشة القاتمة التي استعملت في كامل أنحاء إيالة الجزائر, وتصدر إلى تركيا و مصر, بحيث يباع البرنوس الواحد من البرانس المهفهفة بسعر يبلغ 100فرنك, كما أن الفرنسيين أصبحوا هواة البرانس[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيد وني: النظام المالي, المرجع السابق, ص34.

* البوصة هي الجزء الثاني عشرا من القدم. وكان القدم في فرنسا يساوي اثنين وثلاثين فاصل خمسة (32.5)سنتيم, وانجلترا ثلاثين فاصل سبعة وأربعين(30.47)، انظر حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 95.

[2]- نفسه: ص95.

[3]- صالح فركوس: المرجع السابق, ص 123.

** ثوب ينسج من صوف أو وبر, له "إسكيم " يغطى به الرأس شتاءً, وهو من ألبسة الجزائريين الذين يقطنون المناطق الباردة, كما أنه شعار البرابرة"القبائل".أنظر: أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 66.

[4]- حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق, ص96.

وقد فاقت قلعة بني راشد جميع أصناف الزرابي الأخرى, وأصبحت تصدر للمشرق العربي وتبث إلى إستانبول, هذا راجع إلى دقة صنعها, وتميزها بطابع محلي عريق, وأشكال أناضولية جميلة, فكانت أشغال التطريز تتم باستعمال خيوط الذهب والفضة لتطريز القيا طين و الطفارة, وغيرها من ملابس القطيفة "المخمل " والحرير, كذلك الأدوات الجلدية كالأحزمة والسروج, والمحافظ الصغير"الدزدان" والمحافظ الكبير"الجبيرة" كما كانت تطرز السروج بندرومة* بحيث أن طرز السكان عكس دوقاً رفيعاً, وسوقت منها العديد من المنسوجات إلى الخارج، وما يمكن قوله أن أساليب التطريز ارتبطت بنسيج المعلقات و الشبكات, البنيقة أو "القردون, الكوفية " التي أتقنت تشكيلها الأندلسيات, اللاتي توارثن فنياتها عن أمهاتهن في تلمسان وغيرها[1].

بالرغم من حيوية النشاط الذي عرفته الصناعات المحلية اليدوية, فإن الصناعة المعدنية لم تشهد تطوراً ملموساً لا من حيث الكمية ولا الكيفية, فكانت الصناعة الأساسية مع مرور الزمن لا يتعدى استخراج الملح من سباخ وهران, ومعالجة الجير المستخرج من الحاجر الواقعة قرب المدن[2].

صناعة الأسلحة: اشتهر بايلك الغرب بصناعة الأسلحة والمدافع, كانت توجد ورشات عديدة تُصنع بها البنادق, وأهم مراكزها قلعة بني راشد التي حافظت العائلات الأندلسية والتركية بهذه الصناعة منذ القرن 16م, وقلعة بني عباس علماً أن هذه البنادق الجيدة كانت تصنع بالفضة والمرجان؛ وكدليل على ذلك ما قام به الباي محمد بن عثمان الكبير من استيراد كميات كبيرة من البارود من جبل طارق عندما عزم على فتحها 1791م .

الصناعات التحويلية: يتعلق بتحضير مواد البناء, وتذويب المعادن كالحديد والفضة, الزنك صناعة العملة ومن بين هذه الصناعات, استخراج ملح النترات بأرزيو وتلمسان بالإضافة إلى صنع الأدوات الفخارية والأواني الخزفية, والزليج الملون بكل من ندرومة, تلمسان, شرشال, ميلة وفيما يخص صناعة وتجفيف الفواكه, وتحضير المربى

* هي مدينة تقع غرب الجزائر؛ بعدها عن البحر الأبيض المتوسط على خط مستقيم ستة كيلومتر(6كلم) جوا، يحدها من الشمال مرسى الغزوات وشط سيدنا يوشع ابن نون، وتبعد عنهما بمسافة ثمانية عشر كيلومتر(18كلم)، ومن جهة الجنوب جبل "فلا وسن" ويبلغ ارتفاعه ألف ومائة وستة وثلاثين متر(1136م)، ومن جهة الشرق تلمسان وتبعد عنها بمسافة ستين كيلومتر(60كلم)، ومن جهة الغرب مدينة وجدة المغربية بحيث تبعد عنها بمسافة ستين كيلومتر(60كلم). أنظر جمعية الموحدية ندرومة: ندرومة ونواحيها، جمع وإعداد عز الدين ميدون، ط1، دار السبيل، تلمسان: 2011، ص 295.

[1]- ناصر الدين سعيد وني: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 69، 70.

[2]- ناصر الدين سعيد وني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 34.

اختصت بها العائلات العريقة من الأندلسيين والبلدية, التي كانت تسكن مدن تلمسان مليانة[1]، وقد اشتهر سكان هذه الأخيرة بتحضير نوع من المعجون بعصير العنب واللوز يمكن الاحتفاظ به طوال السنة[2].

ومع ذلك فإن المصنوعات الجزائر لم تكن تستطيع منافسة المصنوعات الأوروبية ولا حتى المغربية والتونسية, الذين يتولون الصناعة التقليدية في المدن الجزائرية كانوا من الحضر النازحين من الأندلس, أما اليهود كانوا محتكرين لصناعة الأحجار الكريمة, كانت تونس تمول السوق الجزائرية بالشاشية وبعض المنتجات الأخرى.

أما عن المغرب مولت السوق المحلي بالأحذية والأقمشة الحريرية , والمصنوعات الجلدية, فكان هناك تُجار مغاربة في الغرب الجزائري, كما كان تُجار تونسيون في الشرق, وبذلك كان التجار الجزائريون في كل من المغرب, و تونس.[3]

وما يمكن أن نخلص إليه في الأخير:

- أن الأسر الأندلسية واليهودية حافظت على الصناعات المحلية المختلفة من الاندثار, التي توارثتها اليهود"الأحجار الكريمة" والأندلسيون"صناعة النسيج".

- اعتمدت الصناعة في بايلك الغرب على الموارد الأولية المتوفرة كالأصواف, الجلود, الأخشاب .

- كانت الصناعة بسيطة استمدت طرق صنعها من تقاليد الماضي, ومع ذلك ظلت موزعة بين الريف والمدينة تلبي حاجيات السكان.

- خضوع صناعة المدن للتحكم ومراقبة النقابات المهنية, بحيث انحصرت صلاحيات أمناء هذه النقابات في الإشراف على أصول المهنة, والحرص على جودة البضاعة وتحديد كمياتها.

- غلاء الأسعار بسبب منافسة المصنوعات المستوردة للمصنوعات الجزائرية .

[1]- ناصر الدين سعيد وني: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 68،69.
[2]- حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 96.
[3]- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 155.

بالإضافة إلى وجود بعض الصناعات الأخرى مثل صناعة السفن والقوارب, صناعة, الملح وغيرها ومن أهم المراكز الصناعية الموجودة ببايلك الغرب نجدها في :

-تلمسان: كان بها خمسمائة(500)حرفة في مجال النسيج والجلد, الخشب, الحديد.

- معسكر: اشتهرت بالبرانس السوداء المميزة.

-مستغانم: اشتهرت بصناعة السجاد و الزرابي .

- ندرومة: كان بها مئة وثمانية وأربعين(148)حرفة في مجال صناعة الأغطية والمنسوجات القطنية.

- قلعة بني راشد: تحتوي عدة حرف كصناعة الأحذية والسجاد، بحيث تقوم بتسويقها إلى وهران.

- مازونة: توجد بها حرفة أو حرفيين لكل عائلة, ويكاد عدد النساجين فيها يصل إلى الألف نساج .

وكانت فئة الحرفيين مهيكلة على شكل وحدات, ولكل حرفة ممثل يدعى أمين يترأس مجموع الأمناء شيخ البلد الذي يتصل بهم لاستخلاص مختلف الرسوم والعوائد لإبلاغهم أوامر سلطة البايلك, فنجد الحدادين والقطارين, والدباغين بالإضافة إلى بعض الفئات المشهورين كاليهود, والأندلسيين, الكراغلة الذين تقاسموا مع بعض الحرف .

المبحث الثالث: قطاع الخدمات:

شمل قطاع الخدمات القطاعات غير المنتجة على غرار: الضرائب، المواصلات، التجارة، الإدارة، الجيش وسنتحدث في هذا المبحث عن الضرائب والتجارة.

1- الضرائب:

أصبحت الضرائب منذ أواسط القرن 18م تمثل المصدر الرئيسي لدخل الدولة بعد أن تناقصت غنائم الجهاد البحري، وتقلصت ثروات سكان المدن؛ ومع تنوعها واختلاف تسمياتها كانت ترتبط بوضعية الأرض ونوعية حيازتها، وكيفية استغلالها، وطبيعة علاقة سكانها بالحكام[1].

تمثلت مصادر دخل الخزينة العامة في أموال الزكاة العشر، الغرامة، العوائد و هي بمثابة هدايا إجباريا تقدم في المناسبات والأعياد، رسوم الحكور المفروضة على أراضي البايلك واللزمة*، وضرائب أراضي العرش التي تدفع مرة في السنة[2]، إلى غير ذلك من الضرائب .

أ- ضرائب المدن:

1- غنائم الجهاد البحري: تشمل النشاط البحري من فداء الأسرى، وأخذ الإتاوات والجهاد البحري كان يوفر للخزينة خلال القوانين 17-16م مداخل طائلة وما يلاحظ أن هذا المصدر لم يعد يمثل موردا هاما للخزينة أواخر العهد العثماني.

2- المساهمة الفصيلة والسنوية للبايلكات: تتمثل فيما تقدمه للبايلكات الثلاث إضافة إلى مردود أوطان دار السلطان وقيادة سابا وإذا كان البدي ملزم بإرسال مبالغ نقدية ومواد عينية، وهو مطالب شخصياً بالحضور

[1]- زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق، ص280.

* لزمة من اللزوم والالتزام، وألزمه إياه فألزمه وهو لزمة، أي إذا لزم شيئا لايفا رقه، أنظر: توفيق دحماني: المرجع السابق، ص 166.

[2]- عمار عمروه، نبيل دادوة: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 الجزائر العامة، ج1، دار المعرفة، الجزائر: 2009، ص 223.

إلى مركز السلطة ومعه مردود مقاطعته مرة كل ثلاث(03) سنوات وهذا ما عرف بالدنوش الكبرى[1]. كان قدوم الدنوش الكبرى عيد حقيقي بحيث يقدره سكان مدينة الجزائر و ينتظرنه وفيها يخص دنوش باي الشرق يدخل إلى الجزائر في فصل الصيف كل ثلاث (03) أعوام فيدخل ويلبس الخلعة مثل باي الغرب إلا أن هديته التي يهديها للباشا في اليوم الأول حين يذهب لملاقاته نحو ثلاثين (30) ألف محبوب ذهباً وبعض المصوغ والملبس عدد المواشي التونسية ومن الطيب عطر الورد وعطر الياسمين وتسبيح العنبر والمرجان البرانس، وأشياء أخرى من الأثاث و الخيل[2] ...وغير ذلك.

أما الدنوش الأصغر هو عبارة عن ضرائب وهدايا يحملها الباي كل ستة (06) أشهر في فصلي الربيع و الخريف[3].

3- رسوم النفايات المهنية و الدكاكين التجارية : يتكفل شيخ قائد الدار بجمعها من أمناء النقابات المهينة المختلفة الموجودة بالمدن الكبرى وقدرت عام 1822م بما يعادل ثلاثة آلاف 3000 دولار إسباني؛ كذلك كل دكان ملزم بتقديم رسم شهري مقابل نشاطه التجاري قدر عشية الاحتلال بثلاثين(30)سنتيم عن كل دكان[4].

ب. ضرائب خاصة بالأرياف

1- العشور والزكاة: كانت الزكاة واجبة في الإسلام استنادا لقوله تعالى[5]:"فَأَقيمُواْ الصَّلَاةَ وآتواْ الزَّكَاةَ" باعتبارها للركن الثالث من أركان الإسلام؛ لهذا حافظ عليها الحكام العثمانيون و رأوا عدم إسقاطها فبسقوطها يسقط ركن من أركان الإسلام .

[1]- ناصر الدين سعيد وني: المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص29،31.

[2]- أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1980، ص46.

[3]- حنيفي هلا يلي: المرجع السابق، ص148.

[4]- زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق، ص 282.

[5]- سورة الحج: الآية 78.

كان باي الغرب يدفع عن وطنه الزكاة و العشر ما يقدر بعشرة (10) آلاف صاع قمحاً ومثلها شعيراً، يوزع على أصحاب الدولة وخدامهم نحو ألفى صاع فمحاً ومثلها شعيرًا؛ أما الأغنام 6 ألاف رأس، كما يوزع أيضا على أصحاب الدولة وخدامهم مرتين في السنة في أبريل وسبتمبر، ويمنح العوائد في عيد الفطر وعيد الضحى ويوم عاشوراء، والمولد النبوي الشريف للداي ووزرائه وجميع خدامه[1].

2- اللزمة: وهي ضريبة استثنائية تدفع كمساهمة من المواطنين في نفقات الجيش والدفاع عن الوطن[2].

3-**الحكور** : وهو الإيجار الذي يدفعه الفلاحون مقابل استثمارهم للأراضي التي تملكها الدولة[3]، فكان مردودها يختلف باختلاف نوعية استغلالها، يؤخذ منها محصول عيني إذا استغلت مباشرة باستخدام الخماسة

كانت إلى بعض الضرائب الإضافية تفرض على قبائل الرعية وتؤخذ عنوة من القبائل الممتنعة والمستقلة، وذلك باللجوء إلى الحملات العسكرية، واستعمال قبائل المخزن، مثل ضرائب صيغة الباب وضعية الدنوش وخيل الرعية وحق البرنوس... وغيرها[4].

وما يمكن قوله في الأخير كنتيجة لاضمحلال المد خول المالي للدولة أبدى الداي وحكومته اهتماماً خاصاً بالشؤون الداخلية للبلاد، وصمم على تعويض المداخل الآتية من الغنائم التي كان يحصل عليها رياس البحر من الغزو وفداء الأسرى والرسوم الجمر وكية على الواردات وكذلك الهدايا التي كانت تقدم للباي بمداخل محلية يتحمل أعبائها السكان[5].

2- التجارة:

إن التجارة في الغرب الجزائري كانت مثل غيرها من المدن، فهي نوعان: خارجية وداخلية، تتم الداخلية في الأسواق المحلية أو الجهوية والحوانيت والمعارض السنوية تتناول كل ما يحتاج إليه السكان من منتجات ومصنوعات محلية كانت أو مستوردة، والتجار الذين يقومون بها في المدن ينظمون ضمن هيئات يشرف عليها أمين يجمع

[1]- أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص47.
[2]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص80.
[3]-عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 80.
[4]- زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق، ص 280، 281.
[5]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 80.

الرسوم المفروضة على كل واحد، ويسلمها للمصالح الإدارية، أما في الأسواق والمعارض فإن التاجر يدفع الرسم قبل الدخول إليها.

وعليه اعتبرت المقايضة هي أفضل طريقة يستعملها السكان في هذه التجارة، كون النقود الذهبية لم تكن منتشرة بكثرة وبما أن المستهلك يفضل الحصول على ما يحتاج إليه مباشرة دون المرور بعملية التحويل المعقدة التي لا توفر الضمانات الكافية للأطراف المتبادلة[1].

أ- التجارة الداخلية:

كانت للتجارة الداخلية أهمية بالغة في بايلك الغرب، ذلك أن الاتصال كان قائما بين السكان عن طريق الأسواق الأسبوعية، حيث كان سكان الأرياف ينقلون منتجاتهم إلى المدن ويأتون بالمنتجات المحلية والمستوردة وكان الحضر واليهود يلعبون دور الوساطة بين الريف والمدينة ولهذا كان أصحاب الحرف هم المسيطرون على النشاط التجاري[2].

ولكي تنشط التجارة وتزدهر في أي منطقة لابد من توفر عامل الأمن، وهذا ما أوردته بعض المصادر أنه كانت هناك العديد من القبائل في بايلك الغرب تمارس اللصوصية وتقطع الطريق على عابري السبيل من التجار والمسافرين، فتنصب أمتعتهم، بل وقد يؤدي بهم الحال إلى الخلاص منهم.

قام محمد بن عثمان باي الغرب الجزائري بمجهودات عسكرية ضدهم للنهوض بالوضع التجاري من خلال قمع تلك القبائل ومن بينها:

- قبيلة الحشم: وهي قبيلة عربية مشهورة بين معسكر وسعيدة، شقت عصا الطاعة والولاء، وكانت تقطع الطريق على القوافل التجارية فقام الباي محمد الكبير بغزوها وضمها إلى جيشه المخزني.

[1]- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1972، ص 64،65.
[2]- سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 52.

– **قبيلة فليتة:** تربعت هذه القبائل على مساحة واسعة شملت البايلكات الثلاث، عرفت بعصيانها وتمردها، ويقول ابن سحنون عنها أنها أظهرت عصيانها برفض دفع اللزمة، وكان سكانها من قطاع الطرق لهذا الباي محمد وردهم.

– **قبيلة الأعشاش:** تقع قرب مدينة مغنية على الحدود الجزائرية المغربية كان أفرادها يمارسون عمليات النهب والسلب، ويذكر أيضا الراشدي أنه إذا جاءهم ضيف رحبوا به، وأطعموه وعندما يعزم الضيف على الرحيل، يقول صاحب الضيافة "لو علمت أن الناس تاركوك لتركتك، ولكنك مسلوب لا محال فدع لي ثيابك، ويأخذها منه " لكن الباي محمد قضى عليهم بتشتيت شملهم، فالتزمت القبيلة بالطاعة والولاء[1].

لقد نجح الباي محمد بن عثمان في تأمين المسالك في الغرب الجزائري من لصوصي الطرق وأعاد للقوافل نشاطها وحيويتها، كما أن طرق المواصلات في المدن سمحت بمرور القوافل، ذلك أنها كانت مزودة بجسور على الأودية كجسر الصفصاف على جهة تلمسان، وجسر قنطرة الشلف الذي أنشأ بأمر من الداي علي باشا في سنة 1813م[2].

ب– التجارة الخارجية:

فإنها تتم مع بقية دول المعرب العربي والأقطار العثمانية بالمشرق بالإضافة إلى الدول الأوروبية التي ما فتئت أهمية التبادل التجاري تتزايد معها[3].

قبل تحرير وهران حوّل الباي محور التجارة الخارجية إلى ميناء أرزيو، وهران التي تشتهر ضواحيها بقطاعات الأغنام، القمح، الشعير، الزيتون، التين، الكروم، الشمع، الخضر والفواكه المختلفة والبقول الجافة، البقر ... الخ[4].

– التجارة مع المغرب الأقصى :

[1]– سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 52، 53. رجعنا إلى الأصل لكنه لا يتحدث عنه.
[2]– نفسه: ص 53.
[3]– ناصر الدين سعيد وني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 39، 40.
[4]– سميرة طالي معمر: نفس المرجع، ص54.

لقد كانت أشهر المدن استقطاباً لتجارة المغرب الأقصى في بايلك الغرب في تلمسان، وظلت هذه الأخيرة تتحكم في تجارة كميات معتبرة من القطن والأقمشة الحريرية التي كان المغاربة يأتون لشرائها، وبقي ذلك قائماً حتى في سنوات الحصار الفرنسي للجزائر (1243هـ -1827م)-(1246هـ-1830م).

-التجارة مع السودان:

اعتمدت على الحاجات الضرورية للعيش إلى جانب بعض المواد الكمالية مقابل استيراد العبيد وريش النعام، المنتجات المدارية الإفريقية، لكن هذه التجارة أصابها الضعف والانكماش في مطلع القرن 19م بعد انفتاح بلاد السودان على المحيط الأطلسي وانعدام الأمن بالطرق الصحراوية نتيجة التنافس بين أهل البدو من جهة والتوازن من جهة أخرى، وبهذا فإن التجارة مع الأقطار الإفريقية والإسلامية تمثل جزء ضئيل بالنسبة للتبادل التجاري مع الدول الأوروبية و إيالة الجزائر[1].

- التجارة مع الدول الأوروبية :

كانت تصدر لها الجزائر كميات من الحبوب و الصوف، قطع الجلد، الشمع، العسل، التمر، الزيت، الدخان، التين اليابس، ريش النعام وبعض المقادير من البقول والحمضيات والخضر والفواكه، وقد قدرت قيمة ما كانت تصدره الجزائر أواخر العهد العثماني إلى هذه الدول من الصوف بألفين(20.00) قنطار من الجلود بألف(10.00) قطعة، الشمع ب ستمائة(600) قناطر.

فاستوردت منها على الترتيب الآتي:

-مع فرنسا:

تستورد الأقمشة والكتانية والقطنية والعقاقير و المصبرات، الأدوية، والآلات الحديدية المختلفة، المجوهرات، الروائح، أدوات الزينة[2].

[1]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4،المرجع السابق، ص39.

[2]- زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق، ص 307، 308

كما استوردت المواد الأولية المتوفرة بكميات تجارية كالأصواف والجلود الشمع، الزيوت، الحبوب، مقابل تصدير الأشياء الكمالية والترفيهية كالعطور المصبرات من فرنسا، والزليج من إيطاليا والعتاد الحربي من اسكندنافيا[1].

-مع انجلترا:

في بداية القرن 12هـ/18م كان التجار الانجليز يصدرون من سبعة إلى ثمانية(7إلى 8) آلاف طن من الحديد إلى الغرب الجزائري، أما بعد فتح وهران فقد كان لهذا الفتح فائدة كبرى لانجلترا الاستيراد كل احتياجاتها، وصيد المرجان في السواحل الغربية، وميناء أرزيو كان يرسل سنوياً إلى انجلترا من 250 إلى 300 باخرة محملة بالحبوب وغيرها[2].

-مع اسبانيا:

كانت تجلب الرصاص والكبريت والأغطية والمعادن الثمينة، أما المدن والدويلات الإيطالية المختلفة وعلى رأسها ليفورن و جينوة والبندقية ونابولي، فيأتي عن طريقها المنتجات المدارية والأقمشة[3].

هذا كان من أهم الدول الأوروبية التي كانت تتاجر مباشرة مع بايلك الغرب الجزائري، كما كان للبايلك علاقات تجارية مع دول أوروبية أخرى غير أنها كانت تتم باسم إيالة الجزائر.

[1]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص40.

[2]- سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص55.

[3]- زوليخة سماعيلي المولودة علوش: المرجع السابق، ص308.

خاتمة الفصل الثاني:

وما يمكن قوله في الأخير عن الوضعية الاقتصادية لبايلك الغرب أن الزراعة كانت معاشية ذات نمط تقليدي، كانت تعاني من عدة صعوبات تعود إلى أساليب وأدوات تقليدية كالمحراث كما نجد مناطق خصبة لكنها مليئة بالمستنقعات إضافة إلى ذلك كان يعيش المجتمع الجزائري ظروفا صعبة فقد كان عرضة للأمراض دفعت هذه المشاكل بالفلاحين إلى اللجوء للزراعة المؤقتة وتربية المواشي.

بينما كانت الصناعة ضعيفة أولية ذات نمط تقليدي وهي نشاط حرفي أكثر من صناعي موجه لسد الاحتياجات المحلية، كما أن الحكام شجعوا بالاستيراد الخارجي وكان ذلك سبباً في عدم تطور الصناعة والصناعة المعدنية لم تشهد تطوراً.

ومما يلاحظ أن هذه الضرائب المفروضة على سكان الأرياف كانت غير محدودة لا من حيث النوعية ولا من حيث الكمية، كما أن هذا النظام غير عادل ولا يراعي القائمون عليه طبيعة الإنتاج ولا وضعية الفلاحين وحالتهم، فهم لا يأخذون بعين الاعتبار إلا نوعية الملكية ومتطلبات الخزينة وحاجة الموظفين، وهذا ما جعلها ضرائب مجحفة في حق السكان زادت من بؤسهم وشقائهم.

أما التجارة الداخلية والخارجية، فالأولى كانت محاصيلها متنوعة إلا أن هذه الأخيرة كانت تعاني من التثبيت وذلك من خلال انعدام شبكة كافية من طرق المواصلات، وانعدام الأمن.

فالتجارة الخارجية كانت تقوم على تصدير عدد من المنتجات كالبخور والشمع وغيرها، فتميزت بمحدودية المنتجات، وبهذا لم تساهم في تراكم الخبرة المعرفية الاقتصادية.

الفصل الثالث

بايلك الغرب إجتماعيا

المبحث الأول: الفئات السكانية

المبحث الثاني: الثقـــــافـــــــة

المبحث الثالث: الأحوال الصحية

سنتعرف خلال هذا الفصل على التركيبة الاجتماعية التي سادت بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني؛ تميز بقلة سكان الحواضر مقارنة بسكان الأرياف، ذلك أن سكان المدن لم يكن يتجاوز خمسة بالمائة (5%) من مجموع سكان الجزائر إضافة إلى تغيير تركيبتهم، وذلك بانضمام فئات اجتماعية جديدة كفئة الكراغلة و الأتراك.

وأما الناحية الثقافية للبايلك فتميزت بوجود عدة مؤسسات ثقافية دينية ساهمت في ازدهار الثقافة وتنوعها من خلال دورها الكبير في بعث الحركة العلمية، و بفعل تجاور هذه الفئات و اختلاطها بالسكان الأصلين ظهرت الكثير من الأزمات الصحية و المعيشية أثرت على سكان بايلك الغرب بشكل كبير.

المبحث الأول: الفئات السكانية

عرف بايلك الغرب عدة فئات اجتماعية توزعت في مختلف عواصمه سواءً معسكر أو تلمسان أو وهران بعد تحريرها من الأسبان 1792، وباعتبار بايلك الغرب مجال حضري وجغرافي له خصوصيته، فقد احتوى على مجموعة من الفئات السكانية متمايزة الوظائف لكنها تتقارب من حيث الترتيب الاجتماعي و مستوى الدخل و هي :

1- سكان المدن:

أ- فئة الأتراك : تمثل هذه الفئة الجهاز السياسي و العسكري والإداري[1]، ووصل عدد الأتراك ببايلك الغرب سنة 1798م إلى ألف وثلاثمائة (1300)نسمة، ومما لاشك فيه أن فئة الأتراك كانت تمثل قمة الهرم الاجتماعي[2].

و تجدر الإشارة إلى أن الأتراك مثلوا أقلية في المجتمع و اشتغلوا كجنود في الانكشارية، وسبب ذلك يرجع إلى قلة عددهم نظرا لحالة العزوبة التي كانوا يعيشونها[3]، إلا أنهم احتكروا السلطة فمنهم الباشوات والوزراء والبايات ورؤساء البحر، كما كان منهم أعضاء الديوان[4].

ونظرا لقلة عدد أفراد هذه الطائفة و انعزالها عن باقي السكان فإنها لم تخل بالتركيب الإثنوغرافي، ولم تؤثر في البنية الاجتماعية لسكان المدن ولا في طريقة الحياة وأسلوب المعيشة[5]، وكان الدافع من هذه العزلة هو رغبة الجماعة التركية في إبقاء هيمنتها على المناصب الحكومية[6]، وهذا ما يجعلنا نقر أن وجود العنصر التركي بالجزائر على رأس الدولة كان وجودا عسكريا و إداريا فقط.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 149- 155.

[2]- عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص 104.

[3]- نفسه: ص 105.

[4]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 153 .

[5]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 94.

[6]- ناصر الدين سعيد وني: النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 34.

ب– فئة الكراغلة:

تحتل الكراغلة المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي تكونت نتيجة التزاوج الانكشاري بنساء الجزائر، كان عددهم لا يتجاوز ألف وأربعمائة(1400)نسمة، ورغم قلة هذه الفئة إلا أن مكانة أصحابها مهمة، فعملوا كموظفين في مناصب إدارية تكاثر عدد هذه الجماعة مع مر السنين بالمدن الكبرى حتى بلغوا في نهاية القرن الثامن عشر حوالي ستة ألاف (6000) نسمة بمدينة تلمسان و أصبحوا أصحاب الرأي فيها[1]، وتكاثر عددهم أيضا في كل من معسكر و قلعة بني راشد مستغانم، مازونة والمدية، القليعة، وأصبحوا يشكلون شبه حكومة خاصة بهم ويتقاسمون المدينة مع طبقة الحضر ولهم ديوان خاص بهم وصلاحيات معترف بها يسمح لها باستخلاص الضرائب في الجهات الجبلية كبني سنوس وبني رافاس وطرارة[2].

تمرد هؤلاء الكراغلة على السلطة التركية عدة مرات أدى بالسلطة إلى طردهم نحو المناطق الجبلية كتلمسان ومعسكر، ولما سيطر الفرنسيون على وهران أعلن كرا غلة بايلك الغرب ولائهم للغزاة ضد الأمير عبد القادر[3] .

لا يقتصر وجود الكراغلة في المدن فقط، كما هو الحال بالنسبة للأتراك بل كانوا متواجدين في الأرياف، ولقد تشكل مخزن الزواتنة في قدم جبل فليته من هؤلاء، قدّر عددهم حمدان خوجة وقتئذ بين ثمانية وعشرة آلاف 8 و (10000)نسمة[4].

على الرغم من حركات التمرد التي تزعمها الكراغلة على سلطة أبائهم الأتراك، إلا أنهم احتفظوا ببعض الامتيازات، مثل حق الانخراط في الإنكشارية و أهليتهم لتولي بعض المسؤوليات الهامة كما حدث مع أحمد باي قسنطينة و مصطفى باي الغرب الجزائري[5]، على أن ذلك كان استثناءا وليس قاعدة.

---

[1]– نفسه: ص 43.

[2]– ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص ص 94-95.

[3]– صالح عباد: المرجع السابق، ص 358.

[4]– حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 155.

[5]– صالح عباد: المرجع السابق، 358 .

ومما يلاحظ أن الكراغلة رغم تزايد قوتهم في أواخر العهد العثماني لم يعرفوا كيف يقومون بالدور المنتظر منهم والمعين لهم باعتبارهم طبقة وسطى تقرب الحاكم من المحكوم، إذا اكتفوا بعد منافسة شديدة للعناصر التركية بالحصول على ترضيات، فلم يعودوا يطمحوا إلى ارتقاء المناصب بقدر ما أصبح هدفهم تنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم و تنشيط تجارتهم، وقد ذكر ابن مسلم ما يؤكد توتر العلاقة بين الكراغلة وبقية السكان عندما ذكر أن باي الغرب محمد بن محمد، ذهب إلى تلمسان عام 1220 هـ / 1805 م، وآخى بين العرب والكراغلة كما أوصاهم ببعضهم البعض، وقد كانوا في ضيق البال وعدم القوت والمال، نظرا لسوء الأوضاع الاقتصادية وظهور المجاعات والأوبئة بالبايلك أواخر العهد العثماني، كما أن موقف الأمير عبد القادر من كراغلة تلمسان ووادي الزيتون يعكس لنا روح العداء والتخوف التي امتازت بها علاقة الكراغلة مع باقي السكان[1] .

ج- الحضر:

تتشكل طبقة الحضر « البلدية » من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن، أو ما انضم إليهم من الطائفة الأندلسية، كانت لهم عادات وتقاليد خاصة، هذا ما جعلهم يتمتعون بوضع اجتماعي يميزهم عن بقية السكان في الريف، وكانوا يشتغلون بالحرف والتجارة والأعمال الإدارية[2].

اهتم أفراد هذه الطبقة بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم واستثمار مزارعهم الواقعة بالقرب من المدن، وهذا ما جعلهم يشكلون برجوازية المدن الصغيرة التي عرفت بخضوعها للبايلك وقلة اهتمامها بأمور السياسة وشؤون الحكم، فرغم سيطرتهم على الحياة الاقتصادية في أغلب الأحيان إلا أنهم لم يطمحوا إلى ارتقاء المناصب السياسية[3]، وإن كان بعض أفرادها قد تولوا مناصب القضاء والإفتاء والكتابة، تنقسم طائفة الحضر إلى أربعة(04) مجموعات هي البلدية و البرانية و الأندلسية ونجدها في أغلب المدن والحواضر الكبرى كوهران وتلمسان ومعسكر[4].

[1]- ناصر الدين سعيد وني، الشيخ المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 97.

[2]- عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص 107.

[3]- ناصر الدين سعيد وني: النظام المالي للجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 45.

[4]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 94-95.

ولا يخفى أن هذه الفئة تواجدت في مدينة وهران قبل تحريرها من الإسبان، إلا أن لها خصوصية تختلف عن باقي حضر مدن الإيالة خاصة في عهد الباي محمد الكبير الذي جلب الحضر من مختلف مناطق البايلك، مستغانم وملیانة ومعسكر[1]، كما اشتغل هؤلاء الحضر بصناعة الأسلحة والأحذية والخزف والبناء والزخرفة.

وعلى الرغم من الوضعية الحسنة التي كان يعيشها الحضر في المدينة والمكانة التي منحها إياهم الأتراك، إلا أنهم أبعدو عن السلطة[2].

ج– جماعة الدخلاء: كانت تعيش في البايلك جاليات من اليهود والأوروبيين المسيحيين ... الخ.

– اليهود:

شكل اليهود العنصر الأهم بين الدخلاء، من حيث قِدم وجودهم في البلاد ومن حيث دورهم الاقتصادي، حيث وصل عددهم بعد الفتح الثاني لمدينة وهران 1792م إلى حوالي ألفين وثمانمائة (2800) يهودي[3].

وقد استقر اليهود ببايلك الغرب في تلمسان، ندرومة، ومعسكر، مستغانم قبل الفتح الثاني لوهران، ويرجع تواجد الجالية اليهودية إلى أيام الباي محمد الكبير الذي باع لهذه الطائفة بعض الأراضي والأماكن، بدون وثائق إلى غاية سنة 1216 هـ /1801م، واشتروا هذه الأراضي بسعر ثمانمائة وعشرين(820) سلطاني جزائري، وشهد على هذا العقد المكي بن عيسى، ومحمد ابن حسن إلا أن ملكية اليهود للأراضي كانت محدودة ولم يسمح لهم بامتلاك الأراضي الفلاحية، هذا بسبب كون معظم اليهود يمارسون التجارة والعمل الحرفي[4].

وقد طرأ على حياة الجالية اليهودية أواخر العهد العثماني تحول عميق ، وذلك بعد حلول يهود ليفورن بالجزائر، و بعد زيادة اتصال يهود البلاد بتجار أوروبا، فأصبحت علاقتهم بباقي الفئات يميزها الحذر، وكانت علاقتهم مبنية على المصالح الخاصة للحصول على الثروة والنفوذ، و هذا ما دفع بالأهالي إلى التشكيك في نشاطاتهم، فاعتبروهم أجانب عن البلاد، و اتهموهم بالتواطؤ مع الأعداء، وأصبح من الشائع أن استيلاء الإسبان

[1]– عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص 107.
[2]– صالح عباد: المرجع السابق، ص 359.
[3]– عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص 113.
[4]– أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 65.

على وهران في المرة الأولى كان على يد أحد اليهود لذلك قام بعض الأهالي بانتفاضات ضدهم و ذلك للحد من نفوذهم، و تضخم ثرواتهم، وإحباط تواطؤ الحكام معهم[1].

-الأسرى المسيحيون:

تمثل العنصر الثاني من الدخلاء بالبايلك، جاءوا عن طريق القرصنة والحملات الأوروبية على الجزائر والحروب البرية التركية الاسبانية في البايلك، كان هؤلاء الأسرى ينتمون لبلدان مختلفة من أوروبا[2]، كان الأسرى المسيحيون التابعين للبايلك أو الذين يمتلكهم الخواص يكلفون بأعمال مختلفة مثل: العمل في الورشات لبناء السفن ومقالع الحجارة، ومنهم من يشتغل في البساتين، ويتقاضون مقابل ذلك أجورا، ويكاد لا يحد من حريتهم سوى قضاء الليل في سجون البايلك[3].

2- سكان الأرياف: ينظر الفصل الأول: بايلك الغرب سياسيا، المبحث الثالث: علاقة السلطة العثمانية بقبائل الغرب الجزائري، ص،ص 32-34.

- المرابطون:

أطلق اسم المرابط على العائلات التي تباشر تدريس القرءان الكريم والإفتاء والإمامة، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

لاشك أن ذلك هو الدور الأساسي للمرابطين الصالحين، ولاسيما في الأرياف والبوادي كما تمثل أيضا في مرافقة القوافل ومراقبة الأمن العام ووعظ الناس وإرشادهم إلى أمور دينهم ونشر التعليم ومبادئ الدين وإصلاح ذات البين، كل ذلك كان من مهمات المرابطين[5].

---

[1]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 103.

[2]- صالح عباد: المرجع السابق، ص360.

[3]- ناصر الدين سعيد وني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص104.

[4]- سورة آل عمران: الآية 200.

[5]- سعد الله أبو القاسم: المرجع السابق، ص 458.

وقد نصح الأتراك بحسن التعامل مع المرابطين حتى يتمكنوا من السيطرة على البايلك، وظلت قائمة على المبدأ الذي حدده سيدي احمد بن يوسف سنة 1517 وذلك في قوله لعروج[1]: " إن حكمكم لا يجري علينا ولا على نسلنا، إن رهبتم أحسنتم وان خالفتم عوقبتم".

اعتمد الأتراك على المرابطين في بايلك الغرب في إخضاع بعض القبائل وربط صلتهم القوية بهم، ومنهم سيد اليعقوبية سيدي بوبكر ولد سيدي الشيخ بن الدين صاحب النفوذ القوي على قبائل المنطقة، ونظرا لمكانته كان البايات والأغوات يحترمونه، خصوصا وانه كان يكتفون زمانة بعدد قليل من الجنود لا يتجاوز المائة (100)حين يأتون لجمع الضريبة التي يحصلونها دون مشقة، وحين يذهب سيدي بوبكر إلى وهران يحظى باستقبال خاص حيث يبعث إليه الباي فرقة موسيقية وحصانا من حظيرته الخاصة، ومن الأمثلة أيضا لجوء الباي محمد الكبير إلى العلماء لحث الناس على الجهاد، ومنهم محمد بن علي بن الشارف المازوني الذي جاء من مازونة صحبة ولده وأخيه ومعهما مائتين (200)طالب[2].

في أواخر العهد التركي، وبعد طرد الأسبان من وهران والمرسى الكبير وتقهقر القرصنة[3]، بدأت علاقة الأتراك بالمرابطين تهتز وأدى ذلك إلى قيام الثورات.

2- سكان الأرياف: ينظر الفصل الأول: بايلك الغرب سياسيا، المبحث الثالث: علاقة السلطة العثمانية بقبائل الغرب الجزائري، ص28-38.

ومما سبق يتضح أن مجتمع بايلك الغرب عرف شرائح اجتماعية تمثلت في فئات سكانية لها مهامها وصلاحياتها، فالسكان بالمدن نجد: فئة الأتراك، الكراغلة ويمثلون قمة الهرم الاجتماعي، في حين الحضر والدخلاء كانوا غالب ما يهتمون بالجانب التجاري والحرفي، أما سكان الأرياف فيمثلون قاعدة الهرم الاجتماعي وهم: قبائل المخزن، الرعية والممتنعة ، إضافة إلى المرابطين، يقوم سكان الأرياف بتلبية مطالب الحكام وتزويد خزينة البايلك.

[1]- ناصر الدين سعيدوني،المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص365.

[2]- كمال بن صحراوي: المرجع السابق، ص 279.

[3]- صالح عباد: المرجع السابق، ص 365.

المبحث الثاني: الثقافة

بعدما أخذنا لمحة عن أهم الفئات السكانية التي شكلت مجتمع بايلك الغرب الجزائري، سنتعرف من خلال هذا المبحث على ملاح الحياة الثقافية من خلال وضع التعليم والمؤسسات الثقافية من مساجد ومدارس وزوايا، لكون منطقة الغرب منطقة عبور الجماعات والمنتجات وأفكار متعددة في اتجاهات مختلفة، كما أن وجود مراكز ثقافية وعلمية على مستوى الوطن العربي كالأزهر والزيتونة، أثرت في طلبة مدارس تلمسان ومعسكر عن طريق الاحتكاك بخريجي هذه المعاهد خاصة في عهد الباي محمد الكبير الذي قام بإرسال بعثات عبر رحلات الحج تشجيعا منه للحركة العلمية.

– التعليم: كان حال التعليم في الجزائر لا يختلف عن التعليم في سائر العالم الإسلامي[1]. ويعتبر من القواعد الأساسية التي تساعد على ازدهار الثقافة وانتشارها في المجتمع، وقد أدرك الجزائريون أهمية التعليم ودوره في المجتمع، وما يؤكد ذلك العدد الكبير من المؤسسات التعليمية والمتمثلة في الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا.

أ– الكتاتيب: تنتشر الكتاتيب بكثرة في المدن والأرياف، وفي المناطق الجبلية وفي الصحاري، ممثلة المرحلة الابتدائية[2]، و هي عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو حتى بعيدة عنه أو غرفة في المنزل، وقد خصصت لتعليم القران والقراءة والكتابة، والكتاتيب التي تعلم القران لا تخلط مع تحفيظه شيئا من العلوم الأخرى، إذ لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا في القرى والأرياف[3].

ب– المساجد: يعتبر المسجد منارة العلم والحضارة ومكان للعبادة ومجمع المسلمين ومنشطهم ومركزا أساسيا للحياة الدينية والعلمية والثقافية، باعتباره قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والبيوت والأسواق والكتاتيب.

---

[1]– أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 230.

[2]– سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 29.

[3]– مؤيد محمود حمد المشهداني: "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني(1518– 1830)"، مجلة الدارسات التاريخية والحضارية، العدد16، مج5، جامعة تكرت: 1434هـ/2013م، ص 435.

تعددت المساجد في بايلك الغرب، حيث بلغ عددها في مدينة تلمسان سنة 1799خمسين(50)مسجدا أغلبيتها صغيرة الحجم، وأهمها المسد العظيم بتلمسان[1]، وجامع سيدي بومدين، جامع السنوسي وجامع ابن زكري والمعروف أن الباي محمد الكبير قد شيد مسجده الأعظم بمعسكر، ولعله المعروف بجامع العين البيضاء أيضا ونفس الباي قد بني جامع وهران بعد فتحها بيده 1792م[2].

عرفت مازونة مستغانم ندرومة مليانة بمساجدها، فوهران كان بها أواخر العهد العثماني أحد عشر مسجداً منها جامع سيدي المزاري والجامع الأحمر الذي شيده الباي حسن سنة 1213هـ/1798م أما مدينة معسكر فأهم مساجدها: مسجد السوق والمسجد العتيق، وقد استفادت من إصلاحات الباي محمد الكبير العمرانية والثقافية[3].

ج- المدارس:

تعتبر المدارس من أهم المؤسسات والمراكز الثقافية والعلمية في العهد العثماني فهي مكان مخصص لإلقاء الدروس، ولا توجد إلا في بعض المدن الرئيسية مثل: الجزائر ووهران وتلمسان ومعسكر، ومن بين المدارس التي اشتهرت بها الجهة الغربية هي:

- مدرسة مازونة :

اشتهرت مدينة مازونة بمدارسها الدينية المتخصصة للعلوم الشرعية منها الفقهية وعلم الحديث وعلم الكلام[4]، واستمرت المدرسة تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية من مازونة إلى معسكر ثم وهران، وكان مقصد

[1]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 344 .

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 253-254.

[3]- فتيحة الواليش: الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر(18)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر: 1993-1994، ص 168.

[4]- أبوراس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار: ج1، تحقيق بوركبة محمد،ط1 منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان:2011م، ص 48.

معظم الطلاب النواحي الغربية، ولاسيما ندرومة، مستغانم ووهران، ومن أبرز علمائها وخرجيها أبوراس الناصري، أبو طالب بن عبد الرحمن المعروف بابن الشارف المازوني.[1]

– مدرسة شيخ البلاد:

تنتسب إلى اسم الحي الذي تقع فيه المدرسة، وليس إلى مؤسسها الحاج محمد خوجة، أحد كتاب قصر الباشا في أواخر القرن الثامن عشر(18م)، كان المؤسس الحاج محمد خوجة يمتلك الكثير من العقارات فقرر وقفها على بناء مدرسة عليا تحتوي على خمس(5) غرف للطلبة والعلماء وبقية المسلمين وعلى مسجد للصلوات الخمس، ومطهرة للطلبة وغيرهم[2].

– المدرسة المحمدية:

من أهم المدارس التي أنشئها محمد باي، والتي تعتبر أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء مثل أبوراس الناصري و محمد بوجلال، الطاهر بن حواء، وهناك مدارس أخرى كثيرة بالغرب الجزائري أدت مهمتها في التعليم والتثقيف نذكر منها مدرسة زاوية سيدي علي شريف بمدينة سيق، و مدرسة زاوية سيدي محمد بن قالة الحسيني الكرط، و مدرسة زاوية مصطفى بن الطيب بعقاز شمال مدينة سيق بمعسكر[3].

– الزوايا:

تعتبر الزوايا من أهم مميزات العصر العثماني بالجزائر، فكانت كل مدينة كبيرة أو قرية محروسة بولي من أولياء الله الصالحين، وحسب اعتقاد أهلها فهو الذي يحميها من غارات العدو ومن النكبات ومن طمع الطامعين، وكان من أهداف الزوايا، تعليم و تثقيف الطبقة العامة المعوزة من أبناء المجتمع، كما كانت الزاوية تعمل على تحفيظ القرءان العظيم و تدريس قواعد اللغة من نحو وصرف،شعر وأدب وفلك[4].

[1]– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 285.
[2]– نفسه: ص 286.
[3]– احمد ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 127.
[4]– أبوراس الناصري: المصدر السابق، ص 47.

ومن بين الزوايا التي كان لها صيت كبير ودور بارز في الغرب الجزائري، الزاوية الراشدية، و الزاوية القادرية باللقيطة بمدينة معسكر، وزاوية الشيخ عبد الرحمان المحمودي الإدريسي المدعو دحو، و زاوية الشيخ سحنون بن أحمد الحسني وغيرهم من زوايا الجهة الغربية، و كل هذه الزوايا كانت موجودة بمنطقة غريس في المنطقة الراشدية بمعسكر[1].

وقد اشتهرت تلمسان و نواحيها بزواياها و نذكر منها زاوية سيدي الذيب، وزاوية أحمد ألغماري و مما يذكر أن الباي حسين قد أوقف سنة 1173هـ/1760م وقفاً على زاوية مولاي الطيب الوزاني حين اشترى لها داراً بستين(60) مثقالا ذهباً.

وقد لعبت هذه الزوايا الريفية دوراً فعالا في الجهاد والتعليم الديني، أما زوايا المدن فكان أغلبها معطلا عن التعليم لوجود الكتاتيب والمدارس والمساجد والجوامع[2]، كزاوية المحاجي وزاوية القيطنة، لكن بعض الزوايا قد أصبحت مراكز لتدريب الأتباع على الثورة ضد السلطة، ولاسيما في أواخر العهد العثماني كتمرد الزاوية التيجانية في عين ماضي والقادرية والرحمانية والدرقاوية[3].

- مميزات الحياة الثقافية ببايلك الغرب:

رغم توفر المراكز و المؤسسات الثقافية في البايلك إلا أن الحياة الثقافية و الفكرية ببايلك الغرب تميزت بالتدهور و الركود كما أشار أبي رأس الناصري الذي شكا تدهور الحياة الثقافية بقوله[4]: "انعدام العلم و انعكاس أحوال العلماء و الأدباء"،كما أشار ابن سحنون الراشدي إلى تقهقر اللسان العربي الفصيح و بلاغته فقال [5]« أن الألسنة غلبت عليها العجمة وارتفع منها سر الحكمة».

[1]- نفسه: ص 47.
[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 269.
[3]- صالح عباد: المرجع السابق، ص 202.
[4]- أبوراس الناصري: المصدر السابق، ص 60.
[5]- ابن سحنون: المصدر السابق، ص 149.

وقد أشار خزا ندار محمد الكبير باي الغرب الجزائري تيدينا في مذكراته إلى انتشار الأمية في عاصمة البايلك الغربي خاصة معسكر، و عبر عن هذا التدهور أيضا أبو القاسم الزياني[1] بحديثه عن تلمسان إثر نزوله بها عام 1792م، حيث ذكر:«و هؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقاً ولا لغة ولا عربية لإصلاح اللسان، و لا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية ».

لكن بعد تولي الباي محمد بن عثمان الكبير شؤون البايلك (1779-1799)م عمل على إحيائها من جديد، والنهوض بمعالمها بين العلماء والفقهاء ، وما يوضح ذلك ما كتبه الجنرال دوماس في تقريره للحكومة الفرنسية عشية الاحتلال يفند الأقوال السابقة حيث قال أن التعليم الابتدائي في الجزائر منتشرا أكثر مما يتصوره الإنسان عموماً، و أن نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة و الكتابة وهذا يعني أن الحكام العثمانيين لم يهملوا كليا الجانب الثقافي، إذ تشير المصادر إلى ترميم الداي محمد بن عثمان للمسجد العتيق[2]، كما قام أيضا الداي حسين بتجديد جامع كتشاوة عام 1203هـ / 1794 م[3].

وعليه فان مظاهر الثقافة في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني تكمن في التعليم ومؤسساتها ورجالاتها، ففي عهد الباي محمد بن عثمان الكبير عرفت ازدهارا وحركة علمية بحيث كان دورها يختلف من ظرف لآخر حسب الظروف التي كانت تمر بها المنطقة من حروب وثورات شعبية.

[1]- سميرة طالي معمر: المرجع السابق، ص 29.

[2]- أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص24.

[3]- عزيز سامح الترك: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت: 1989، ص 571.

المبحث الثالث: الأحوال الصحية

إن المستوى المعيشي لأي عصر أو بلد يقاس بالأحوال الصحية السائدة, فلهذه الأحوال دور هام لفهم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية, ذلك أن الأحوال الصحية غالبا ما تؤثر ايجابيا أو سلبا على المستوى المعيشي, ومن ثّم تكون لها انعكاسات على الحياة الاجتماعية والنمو الديمغرافي, وقد عرفت الجزائر عامة و بايلك الغرب خاصة في أواخر العهد العثماني عدة أمراض خطيرة وكوارث طبيعية أثرت على الوضع الاجتماعي للبايلك.

عرفت البلاد ركودا اقتصاديا و انكماشا عمرانيا طيلة النصف الثاني من القرن السابع عشر17م, و النصف الأول من القرن الثامن عشر18م وبعد ذلك ساءت الأوضاع الاقتصادية وأفقرت الأرياف والمدن من سكانها, و تكاثرت الأمراض و الأوبئة الفتاكة مما أثر سلبا على حالة السكان الصحية والمعيشية[1].

ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر, تضاءل عدد سكان الأرياف وتناقص عدد البحارة، وافتقرت الأرياف إلى اليد العاملة في الزراعة[2].

ويعود ذالك إلى سوء الحالة الصحية وانتشار الأمراض وانتقال العدوى من الأقطار المجاورة, وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر الأبيض المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقتها التجارية مع أوروبا وانتقلت مختلف الأمراض كالكوليرا والجدري والطاعون[3]، ومما زاد من خطورتها تزامن انتشارها مع الجفاف, والمجاعات والكوارث الطبيعية الأخرى ممثلة في الزلازل واجتياح الجراد.

[1]– ناصر الدين سعيد وني: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر: 1988, ص123.

[2]– توفيق دحماني: المرجع السابق، ص13 .

[3]– ناصر الدين سعيد وني, المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ, المرجع السابق، ص88.

أ– وباء الطاعون:

عرفت الجزائر انتشار الطاعون سنوات 1799-1804[1]، خاصة المنطقة الغربية منها، إذ تضررت منه منطقة وهران 1792م، وتلمسان سنة 1798[2]، ومعسكر 1799[3]، وقد انتشر هذا الوباء في الجهة الغربية عن طريق التجارة بين الجزائر ودول أوروبا والمشرق العربي، ففي سنة 1792م اضطر الباي محمد الكبير إلى الفرار إلى خارجها، وتوجه هو و أسرته إلى مدرسة خنق النطاح، التي تشيد مكانها مسجداً سنة 1793 م وبعد ثلاثة(03)أشهر نقصت حدة الوباء فرجع إلى قصره بوهران[4].

كتب الزياني المغربي أثناء مروره بالمدن الجزائرية في أواخر القرن 12هـ /18م[5]" بعد إقامتنا بتلمسان سنة و نصف خرجنا منها إلى مدينة الجزائر، فراراً من الوباء الذي حل بها، فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهلها يدفنون موتاهم".

ظهر الوباء مرة أخرى سنة 1802 م / 1217هـ و انتشر في مختلف مدن و أرياف بايلك الغرب، كان سببه دخول الحجاج إلى مدينة وهران، خلّف هذا الوباء عدد من الضحايا وصل عددهم إلى سبعة آلاف (7000) ضحية، وهناك بعض المصادر تشير إلى أن وباء سنة 1234هـ/ 1818م الذي أصاب وهران أدى بوفاة ما بين ثلاثين إلى أربعين(30 إلى 40) فرد في اليوم[6].

[1]– محمد الزين: نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17 (2012)، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي سيدي بالعباس، غرداية: 1989، ص 129.

[2]– أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 261.

[3]– كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص 28.

[4]– عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص 121.

[5]– محمد الزين: المرجع السابق، ص 130.

[6]– فلة موساوي القشاعي: الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وبدية الاحتلال(1518-1830)،وزارة الثقافة، الجزائر: 2013، ص 43.

إلا أن في السنوات الممتدة ما بين 1239هـ - 1823م و 1254هـ إلى 1830م شهدت الجزائر والجهة الغربية منها استقرارا صحيا، وقد ذكرت مراسلة الشبه قنصلية الفرنسية بوهران إلا أن الوضع الصحي بمدينة وهران، وبايلك الغرب لا توجد أوبئة[1].

شكل وباء الطاعون أخطر مرض عانى منه سكان الجهة الغربية، وقد تكرر ظهوره في شكل تواتر حلقات متعاقبة، وتسبب في انهيار ديمغرافي، وأدت إلى تدهور الوضع الصحي الذي أثر سلباً على اقتصاد البلاد.

2- المجاعات:

عرفت سهول بايلك الغرب خاصة وهران وسهل اغريس إنتاج الحبوب التي وجهت للاستهلاك الداخلي، كما كان يصدر جزء منها وسبب ذلك استيلاء رجال البايلك على هذه الأراضي، مما أدى إلى نقصان إنتاجية الأرض، لأن مصالح البايلك كانت منشغلة بأعمالها العسكرية، كان سبب ظهور المجاعة هو التكتل الأوروبي ضد الجزائر، والحصار الاقتصادي الذي فرض عليها من اجل وضع حد لقوتها البحرية، بالإضافة إلى الأزمات التي ضربت بايلك الغرب أثرت كثيرا على النشاط الزراعي و قلة الإنتاج، و كانت الطابع العسكري الذي تميزت به المنطقة الغربية ضد الأسبان قد اثر على الزراعة وأصبح المصدر الأساسي هو تربية المواشي[2].

كما سيطرت قبائل المخزن على أراضي خصبة واسعة، فكانت تملك حوالي ثمانية وسبعين (78) بالمائة من السهول الوهرانية، و بسبب الثورات المتكررة في البايلك خاصة ثورة الدرقاوة التي اعتمدت على الحملات العسكرية في حربها تاركة الخراب في القبائل التي تغزوها بسبب جمع الضرائب، وذلك اثر على النظام الاجتماعي للقبائل[3].

[1]- عبد القادر بالغيث: المرجع السابق، ص 125.
[2]- عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص 126.
[3]- كمال بن صحراوي: المرجع السابق، ص 176.

حين وُلي الباي محمد الكبير على معسكر(1779-1799) اجتاحت البلاد مجاعة كبيرة كانت أثارها وخيمة جدا، وحدث بأول مملكته بمعسكر مسبغة عظيمة هلك بها أناس كثيرون بسبب الجوع ونقص المؤن[1].

كما وقعت في زمن محمد المقلش(1805-1808) مجاعة أثرت على أهل تلمسان حين قامت حرب بين الكراغلة و الحضر، فتدخل الباي بإحضار تسعمائة(900) جمل تحمل القمح الذي صُودر من مطامير بني عامر اثر مشاركتهم مع ابن الشريف الدرقاوي في ثروته ضد البايلك، و في عهد الباي حسن(1826-1830) سنة 1827م وقع خلاف عظيم وقحط في الناس أدت إلى أن صار الباشا يفرق خبزا صغيرا كالرغيف على الناس فسمي هذا العام بعام خبز الباشا.

إضافة إلى حدوث زلازل و فيضانات و التي تسببت في تخريب بعض المدن و تحطيمها، وأسفر عنها في الكثير من الأحيان خسائر مادية وبشرية ومثال على ذلك: زلزال 1790م الذي ضرب مدينة وهران والذي كان عاملا ايجابيا لاسترجاع المدينة من الأسبان[2].

ومما سبق يتضح أن هناك من العوامل أثرت على المستوى الصحي لسكان بايلك الغرب، يرجع سببها إلى سوء الأحوال الاقتصادية وتناقص غنائم الجهاد البحري، واحتكاك السكان عن طريق التجارة أو الرحلات بسكان أوروبا أو سكان المشرق العربي مما أدى إلى ظهور أمراض وأوبئة أودت بهلاك الكثير من السكان، إضافة إلى عدم اهتمام حكام الأتراك بالجانب الصحي كإنشاء مستشفيات للعلاج لذلك نجد سكان الأرياف يعالجون بالأعشاب وغيرها.

[1]- نفسه: ص 176.

[2]- نفسه: ص 177.

خاتمة الفصل الثالث:

ومما سبق دراسته في هذا الفصل نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

شكل بايلك الغرب نسيجا اجتماعيا تكون من عدة فئات تداخلت فيما بينها تمثلت في فئة الأتراك والكراغلة(الطبقة الحاكمة)؛ احتلت المناصب الإدارية والعسكرية فالأتراك مثلوا قمة الهرم الاجتماعي في البايلك، أما الكراغلة في المرتبة الثانية بحيث اشتغلوا كجنود انكشاريين، إضافة إلى فئة الحضر أو ما يعرف بالبلدية اشتغلت في مختلف المناصب الإدارية والتجارية الحرفية، رغم الدور الذي كانت تقوم به هذه الفئة في مختلف المجالات، إلا أنها حرمت من المناصب السياسية لان احتكار العثمانيين للسلطة حال دون تحقيق ذلك.

– الفئة الثالثة وهي الدخلاء على غرار اليهود والمسحيين كان اهتمامهم منصبا على التجارة باعتبارهم موجودين منذ زمن بعيد في الجزائر من خلال بيع وشراء الغنائم البحرية.

–أما فيما يخص الجانب الثقافي للبايلك فكانت المؤسسات الثقافية من مساجد وكتاتيب وزوايا تلعب دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية والقضاء على الأمية من خلال اعتماد هذه المؤسسات على تعليم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وعلوم الدين، كما ساهمت أيضا في الأمور القضائية لحل النزاعات باعتباره منارة للعلم والحضارة.

وانتشار هذه المؤسسات على مستوى البايلك ساهم في ترقية المستوى الثقافي، وهذا من خلال ظهور نخبة مثقفة من علماء وخريجي المعاهد.

–كان عدم الاهتمام بالشؤون الصحية من قبل العثمانيين سببا في تدهورها نتيجة ظهور أوبئة وأمراض أثرت على السكان؛ كوباء الطاعون ابتداء من سنة 1792م إلى غاية 1826م الذي أودى بأرواح كثير من سكان البايلك نتيجة احتكاكهم بتجار أوروبا والمشرق العربي، إضافة إلى ظهور المجاعات واجتياح الجراد الأراضي الزراعية وقضائه على الأخضر واليابس، مما أدى إلى نقص المؤونة، كما أن حدوث الزلازل والفيضانات أدت إلى اختفاء الأقوات وموت كثير من السكان.

الفصل الرابع

سقوط بايلك الغرب

المبحث الأول: قيام الثورات الشعبية وإحتلال وهران

المبحث الثاني: موقف القبائل من مقاومة الأمير عبد القادر

شهدت منطقة الغرب الجزائري بداية القرن 19م عدة تحولات سياسية، تمثلت في ظهور ثورات شعبية وتمردات ضد السلطة العثمانية بالبايلك تزعمها مجموعة من شيوخ المرابطين كثورة الدرقاوة والتيجانية، وكان سببها سوء الأحوال الاقتصادية التي عرفتها الجزائر أواخر العهد العثماني، إضافة إلى امتداد نفوذ البايلك وزيادة حجم الضرائب المفروضة على السكان، واستمرت إلى غاية دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر بحيث تحالفت بعض القبائل مع الاستعمار بعد تسليم وهران.

المبحث الأول: قيام الثورات الشعبية واحتلال وهران

تميزت سياسة حكم الأتراك في بايلك الغرب خلال الفترة الأولى من القرن السادس 16م عشر والنصف الأول من القرن17م، بعدم التدخل في شؤون السكان الداخلية والاكتفاء بالتعامل مع شيوخهم ومرابطيهم الذين كانوا يقدمون نيابة عن السكان ما كان يفرضه البايلك من مطالب مخزنية وضرائب متنوعة[1].

وفي أواخر القرن18م انتهج الأتراك سياسة ترمي إلى مد نفوذ البايلك إلى جهات أخرى، واتبعوا في ذلك أسلوب يعتمد على القوة ويتصف بعدم مراعاة ظروف و أحوال الأهالي وهذا ما تسبب في حدوث اضطرابات واندلاع ثورات قبلية أو طرقية[2].

ذلك أن سياسة حكام الأتراك اتجاه سكان الأرياف تمثلت في تسيير الحملات العسكرية لجمع الضرائب خاصة ما حدث في أوائل القرن 19م الذي شهد ضغطا ماليا وانهيار اقتصادي، وكانت الحملات العسكرية تنطلق من وهران أثناء فصلي الربيع والخريف، كما تنطلق من معسكر وتجوب نواحي غريس وجهات السرسو لمدة ستة أو سبعة (6أو7) أشهر تستخلص الضرائب وتعاقب الممتنعين عن تأديتها[3].

ففي الفترة الممتدة بين سنتي 1798-1830شهدت الناحية الغربية عدة حركات تمرد داخلية منها ثورة درقاوة(1805-1815) وثورة التيجانية بعين ماضي 1816 هذه الثورات قادها مجموعة من المرابطين وشيوخ الزوايا، أرهقت النظام الحربي للسلطة التركية في الجزائر وهددت التواجد العثماني، وكانت عاملا حاسما

[1]- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، ص393.

[2]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 36- 38.

[3]- حنيفي هلا يلي: المرجع السابق، ص22.

في زواله كما تزامن اندلاع هذه الثورات مع اشتداد التنافس الإنجليزي الفرنسي على اكتساب مناطق النفوذ داخل الجزائر وباستحواذ اليهود على مقاليد الحكم[1].

ومن أهم الثورات:

1- ثورة درقاوة:

تنسب إلى عبد القادر بن الشريف الدرقاوي* 1219هـ/ 1804م، أخذ الطريقة الدرقاوية على الشيخ محمد العربي الدرقاوي** في بني زوال بالمغرب الأقصى.

تعود أسباب ثورة الدرقاوة إلى انتهاء الاحتلال الاسباني لوهران والمرسى الكبير عام 1792م، ومن ثم رأى الدرقاويين أنه لا مبرر لبقاء الأتراك في المنطقة، وبذلك انتهج البايات سياسة متشددة في استخلاص بعض الضرائب ومد نفوذهم إلى المناطق التي ظلت ممتنعة عن سلطتهم.

وخلال إقامة الشريف الدرقاوي عند شيخه زعم له بأن الأتراك بالجزائر لا يصومون ولا يقومون بأمور الدين، ولا يعملون بمبادئ الإسلام وطلب منه الإذن ليحاربهم فصدقه في أقواله وعاد عبد القادر إلى الجزائر وجهز جيشا في الهضاب والجبال الصحراوية، وعندما سمع الباي مصطفى العجمي به جند قواته لمحاربته في

[1]- يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 67.

* هو عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفليتي من أولاد بليل الكساني، يرجع أصله إلى قبيلة كسانة البربرية، القاطنة على ضفاف وادي العبد في ضواحي سهل غريس القريب من مدينة معسكر، التحق بزاوية القيطنة القادرية لأخذ العلم، وبعدها اتجه إلى زاوية "بوبريح" بالمغرب الأقصى وهناك اتصل بمولاي عبد الله محمد الدرقاوي، الذي لقنه مبادئ الطريقة الدرقاوية وأجازه ثم عاد إلى قريته، وفيها أسس زاوية لتلقين الناس أوراد الطريقة، ويظهر أن هذه المهمة قد أوكلت إليه من طرف شيخه الذي عينه مقدما للطريقة في الناحية الغربية من الإيالة. أنظر القوى المحلية للبايلك الغرب، لسميرة طالي معمر، ص 126.

** هو مولاي العربي بن أحمد بن الحسين بن يوسف بن أحمد الشريف الإدريسي، ولد عام 1150هـ/1737م من قبيلة بني زروال المراكشية، كان في صغره مهتما بالقراءة، إذ أنه حفظ القران الكريم وأتقنه. تتلمذ الدرقاوي على يد الكثير من علماء ذلك العصر، وأسس زاويته في بني زروال. توفي سنة 1239هـ/1823م، ودفن بزاويته في جبل بوبريح. نفسه، ص 124.

حوض الشلف، واصطدم معه في معركة كبيرة بمكان يعرف بفرطاسة*[1]، إلا أن الدرقاوي انتصر على مصطفى العجمي باي وهران 1805، ومكنه هذا النصر من السيطرة على معسكر وفرض سلطانه على المنطقة الممتدة من مليانة شرقا إلى وجدة غربا.

والواضح أن الدرقاوي قرر مهاجمة وهران وفرض عليها حصارا لمدة ثمانية أشهر، لكن الباي محمد بن عثمان الملقب بالمقلش تمكن من فك الحصار بمساعدة قبائل المخزن، واستطاع ما بين 1805-1808 إخضاع القبائل الثائرة مثل قبيلة مهاجر وقبيلة البرجية وابن عامر المتحالفة مع ابن الشريف الدرقاوي[2].

2- ثورة التيجانية:

تنسب إلى محمد الكبير التيجاني وقد ازداد نفوذ هذه الطريقة أواخر العهد التركي، وأظهر حكام الإيالة لها العداء، حيث بدءوا إرسال الحملات العسكرية إلى مقر الطريقة بعين ماضي قرب الأغواط منذ1787إلى غاية 1827[3].

اندلعت هذه الثورة بقيادة شيخ الطريقة التيجانية أحمد بن سالم التيجاني سنة 1826م، نتيجة تضررها من مظالم المخزن، والجبايات الثقيلة المفروضة، حيث تحالف التيجاني مع قبائل الحشم في معسكر ورجال عين ماضي.

انضمت إلى هذه الثورة قبائل الحشم الراغبة في الانتقام من الباي حسن، بحيث تحرك قائد الثورة من عين ماضي في نحو ستمائة(600)رجل باتجاه معسكر، ولما وصلها هاجمها من ناحية العرقوب، وبينما كان التيجاني يحاصر معسكر بلغت أنبائه باي وهران حسن وخرج بجيش قوي حاصره بمكان يدعى "الكرط"، فتراجع عنه

* تقع بين مينا وواد العبد وقعت هذه المعركة بين الشريف الدرقاوي، ومصطفى العجمي المنازلي انهزم فيها الباي وقتل فيها ابن هطال التلمساني الكاتب الأيمن لمحمد الكبير

[1]- يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 68.

[2]- حنيفي هلا يلي: المرجع السابق، ص23.

[3]- يحي بوعزيز: وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 65.

حلفائه من الحشم والسويد، وبقي يقاتل وحده مع أربعمائة(400)مقاتل، هاجمه جيش الباي وتمكن من قتل التيجاني[1]، ونقل رأسه إلى العاصمة حيث أصبح مصلوبا بها اتجاه الباب الجديد، وبعثوا بسيفه إلى السلطان محمود، فرضت الحكومة التركية على أهل عين ماضي مبلغ باهض قدر بمائة ألف(10000)بوجو، كما أرغم أتباعه من الحشم بتقديم مبلغ قدر بخمسين(50)ألف بوجو[2].

احتلال وهران

بعد أن تم التوقيع على معاهدة الاستسلام[3]، من طرف الداي حسين، توجه خليفة باي وهران نحو مدينة الجزائر رأى الفرنسيين قد استولوا على المدينة، فرجع الخليفة إلى وهران وأخبر الباي بالكارثة التي حلت بالجزائر وانه في طريقهم للجهة الغربية[4].

ولما علم سكان الغرب بأن الفرنسيين قد دخلوا الجزائر، رفضوا أن يواصلوا الاعتراف بسلطة الباي وشقوا عصى الطاعة ، وزيادة على ذلك نهبوا المزارع التابعة للباي واستولوا على كل ماشية كالدواب والخيل ...الخ، لأن الباي لم يكن محبوبا لدى السكان لذلك لم يستطع التفاهم معهم.

وصلت القوات الفرنسية إلى المرسى الكبير في 04جانفي 1931 وشرعت في هدم البرج المحصن من جهة البحر، فخير الباي في أن يقوم ببيع منصبه أو الاستسلام، كان الباي حسن شيخا قد مل الحكم ولذلك لم يطمح إلا في حياة هادئة[5]، فتخلى عن السلطة يوم 07 جانفي 1831 وذهب للعيش في المنفى (الإسكندرية)[6].

[1]- حسيبة بن عيشوش: المحلة والد نوش في الجزائر أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر: 2013-2014، ص 57.

[2] -عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة، الجزائر: 2010، ص 340.

[3]- أنظر الملحق رقم05

[4]- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص 108.

[5]- نفسه، ص 189.

[6]- أغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 85.

قام الحاكم الفرنسي كلوزيل بتعيين الباي أحمد التونسي لكي يحكم وهران بحيث يكون المقر بالجزائر العاصمة ويدفع أموال كبيرة مقابل ذلك لفرنسا إلى أن الباي أحمد انسحب بسبب عدم وجود أي سلطة تدفع رواتبهم وكذلك بسبب استياء الباي من المبلغ الكبير الذي يدفعه لفرنسا[1]. وفي الأخير يمكن القول أنه رغم فشل هذه الثورات (التيجانية الدرقاوية) في الغرب الجزائري، إلا أن آثارهاكانت وخيمة بحيث زادت من حدة الفجوة بين الحكام والسكان، إضافة إلى عداء الطرق الدينية لها.

المبحث الثاني: موقف القبائل من مقاومة الأمير

حاول الأمير بعد مبايعته على الجهاد من طرف قبائل غريس " هاشم وبن عامر والغرابة "، أن يعامل سكان بايلك الغرب على قدم المساواة، دون مراعاة بعض الامتيازات التي كانت تحظى بها خاصة طائفة الكراغلة الذين رأوا في ذلك خطرا على امتيازاتهم مثل المكانة المرموقة التي حظوا بها باعتبارهم اقرب إلى العنصر التركي وأجدر بتولي شؤون الحكم، وهذا ما دفعهم إلى اتخاذ موقف عدائي من الأمير عبد القادر* منذ توليه أمور المسلمين بالغرب الجزائري[2].

أ – موقف الباي:

عند نزول الفرنسيين للجزائر لفتت أنظارهم صوب الجهة الغربية منها نظرا لمكناتها الإستراتيجية وتحسيناتها العسكرية ، أثارت مخاوف الباي حسن في حين كان العرب محاصرين له بأحكام وكانوا يتفقدون رغبة في التأثر لأنفسهم من طغيانه ، ولم يكن حرسه التركي قادرا على الدفاع عنه وخاصة فرسان المخزن كانوا يفرون أمام القبائل التي طالما عانت من الاضطهاد والتي أصبحت تشعر الآن بأن ساعة الانتقام قد حانت.

---

[1]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 109، 110.

* هو عبد القادر بن محي الدين الحسني ولد سنة 1808 بمضارب أهل غريس بالقيطنة، وفي مدرسة يشرف عليها والده حفظ القرآن وأخذ علومه الأولى، ثم انتقل إلى وهران فأتم تعليمه، سافر سنة 1828 إلى الحج مع والده، وزار مصر وبغداد، والشام والتقى بالعلماء ومشايخ الطرق. أنظر محمد بسكر: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج1، دار كردادة، الجزائر: 2013، ص 394. وأيضا مصطفى بن التهامي: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر: 2009، ص 50.

[2]– ناصر الدين سعيد وني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 238.

أمام هذا المأزق قرر الباي أن يبني موقفا أملته عليه الضرورة الملحة فأرسل إلى محي الدين* وتوسل إليه أن يحميه، غير أن محي الدين تعجب لمثل هذا الطلب ولما كان يخشى الباي على مركزه من شيوخ المرابطين خاصة الأمير وعائلته في البايلك، فشاور محي الدين أهله وأتباعه بخصوص طلب الباي، لكن الأمير وأتباعه رفضوا حماية الباي وهذا الرد حال دون تحقيق طلب الباي[1].

خاف الباي حسن على ثروته وعائلته فقام عند دخول الفرنسيين وهران يوم 11 آب 1830بتسليم المدينة للجنرال كلوز يل يوم 25 ديسمبر 1830م، واضعا نفسه تحت تصرف هذا الأخير منتظرا أوامر إبعاده على الإسكندرية[2].

ب– موقف الكراغلة والقبائل:

-الكراغلة:

بعد تسليم وهران عمل الأمير على ضم الكراغلة إلى صفه دون مراعاة امتيازاتها السابقة، وهذا ما لم يعجب الكراغلة فسعوا في محاولتهم للتخلص من سلطة الأمير إلى الاستعانة بسلطان المغرب عبد الرحمن، كما أن كرا غلة واد الزيتون حاولوا الاتصال بالفرنسيين وعقدوا صلات ودية معهم هذا ما دفع بالأمير إلى إخضاعهم وإيقاع العقاب بهم فأجبر الكثير منهم على مغادرة مدن معسكر، مستغانم، مليانة[3].

–القبائل:

* الشيخ محي الدين بن مصطفى والد الأمير عبد القادر، ولد بوادي الحمام عام1190هـ/1776- 1777م ودرس على أبيه الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي وورث عنه مشيخة الزاوية، وكثر عليه طلاب العلم والمعرفة ومريدو الطريقة، والتصوف، واشتهر بالصلاح وسداد الرأي، وغزارة العلم والمعرفة، وبمقاومته لسياسة الظلم والقسوة ولذلك وشى به بعض خصومه إلى الباي حسن بن موسى بوهران. أنظر يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر: 2009، ص 245.

[1]- شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، دار التونسية للنشر، تونس: 1974، ص 51.

[2]- محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،ج1، سيرته السيفية، المطبعة التجارية، الإسكندرية: 1903 ص 87.

[3]- ناصر الدين سعيد وني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 238.

حاول الأمير تجنيد كل فرسان المخزن المنتشرين بسهول وهران الشلف، غريس وهم على التوالي : الزمالة والدوابر، البرجية وغيرهم، هذه القبائل كانت تحظى بامتيازات خاصة من بايات وهران كإعفائها من الضرائب مثل ضريبة الغرامة، اللزمة، باستثناء ضريبتي العشور والزكاة اللتين يتوجب دفعهما من طرف جميع المسلمين بدون امتياز[1].

هذه السياسة الرامية لتجنيد كل القبائل من طرف الأمير ضد العدو الفرنسي ولم تأخذ بعين الاعتبار هذه الوضعية الخاصة بالقبائل المخزن إذ أنه ألغى هذه الامتيازات وأقر مبدأ المساواة بينهم وبين باقي الرعية، هذا ما أثار حفيظة فرسان المخزن ودفعهم إلى الوقوف في وجه الأمير رغبة في الإبقاء على تلك الامتيازات، وخوفا من انتقام قبائل الرعية التي طالما والأقصى، إلا أن السفارة التي توجهت إلى المغرب في سبتمبر 1830، والمكونة من الحاج لخضر والمزاري لم تتلقى ردا[2].

قام الأمير في خضم هذه الأحداث بمواجهة القبائل المخزنية المقيمة بالقرب من وهران وارزيو من اجل إخضاعها، فسارع زعماء المخزن إلى طلب العون من الفرنسيين مقابل تجنيد أنفسهم لخدمة مخططات العدو وهذا ما حدث بالفعل مما أثار تخوف الأمير واخذ الفرنسيين موقف قبائل المخزن بعين الاعتبار مما اثر سلبا على استمرارية المقاومة ضد الفرنسيين[3].

إن الأوضاع التي شهدها بايلك الغرب عند سقوط وهران أدت إلى بلورة عدة مواقف اتجاه مقاومة الأمير الذي حاول توحيد الصفوف أولا ثم التصدي للعدو ثانيا، فرفض بعضها الدخول تحت لوائه، خاصة الكراغلة وفرسان المخزن خوفا من سلب امتيازاتها مما سمح للفرنسيين باستغلال تلك الأوضاع الاجتماعية، والاستفادة من الصراع الداخلي الناتج عن التفاضل الاجتماعي وتباين وجهات النظر بين فئات مجتمع بايلك الغرب في أوائل الاحتلال ، وهذا ما ساعد فرنسا على تحقيق مخططاتها الاستعمارية على حساب مصالح المجتمع الجزائري.

[1]- ناصر الدين سعيد وني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 310.

[2]- أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808- 1847، ج1، ط1، دار الرائد للكتاب، الجزائر: 1983، ص 56.

[3]- ناصر الدين سعيد وني: دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 236.

خاتمة الفصل الرابع:

وما يمكن استخلاصه من هذا الفصل

– تعتبر فترة حسن باي (1826–1830) من أصعب فترات حكام بايلك الغرب الجزائري، إذ شهدت عدت ثورات نظرا لسوء العلاقة بين الباي والرعية، نتيجة ثقل الضرائب المفروضة على السكان وإخضاعهم لمختلف أشكال التعسف؛ هذه السياسة فتحت الباب أمام حركات التمرد والعصيان واندلا ع الثورات التي تزعمها الصوفيون مثل ثورة الدرقاوة التي تعد من اخطر ثورات التي شهدها القرن 19م، إضافة إلى الثورة التيجانية بعين ماضي، جاءت كرد فعل على ثقل الضرائب المفروضة عليها كقبيلة الحشم المتحالفة مع التيجاني.

– إن الوضع التي كانت تعيشه وهران عشية الاحتلال وهو الصراع القائم بين القبائل والسلطة العثمانية في فترة الباي حسن، أدرك هذا الأخير مكانته السيئة بين السكان خاصة المرابطين وعلى رأسهم شيخ الطريقة القادرية(محي الدين)، وعدم القدرة على حماية البايلك من الاحتلال.

– ظهر موقف الباي حسن من مقاومة الأمير عند طلبه الحماية من والد الأمير عبد القادر ورفضه، لذلك عند دخول كلوز يل إلى وهران قام بتسليمه إياها دون عناء.

–حاول الأمير عبد القادر ضم كل من قبائل المخزن والكراغلة إلى صفه لمواجهة الاحتلال، إلا أنهم اتخذوا موقف معادي له نظرا لتطبيق هذا الأخير مبدأ المساواة بين جميع السكان، ورأت ذلك انتزاعا للامتيازات التي كانت تحظى بها في عهد الأتراك واضطرت إلى طلب العون من الفرنسيين مما أثّر سلبا على مسار المقاومة.

خاتمة

من خلال ما تقدم ذكره في هذا البحث، الذي تناول موضوع " بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني سياسيا واقتصاديا واجتماعيا 1792 -1830 " من المنظور التاريخي والجغرافي واستنادا للمعلومات التي تناولناها في دراستنا خلصنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات أهمها :

كانت الأهمية الإستراتيجية لبايلك الغرب على غرار البايلكات وراء جعله محل أطماع بعض الدول، خاصة اسبانيا هذا ما جعل الجهة الغربية تتسم بالطابع العسكري نتيجة الأطماع الإسبانية من جهة وتمرد القبائل على السلطة من جهة ثانية وهذا ما حال دون استقراره.

شهد بايلك الغرب أحداث سياسية هامة، ذلك أنه لم يعرف استقرارا لعاصمته حيث مثلت مازونة أول عاصمة له منذ سنة 1563، ثم معسكر 1701 فوهران كعاصمة نهائية بعد تحريره من الوجود الإسباني 1792 .

يعود الفضل في تحرير وهران إلى الباي محمد الكبير هذا الأخير الذي استطاع أن يعيد للبايلك هيبته من جديد وهذا راجع إلى اهتمامه بالمنجزات الحضارية و الدينية، ومساعدة المحتاجين.

خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر عرف البايلك نوعا من الاستقرار السياسي واستكمل وحدته الإدارية من خلال تعيين الباي والموظفين القائمين على خدمة البايلك.

استطاعت السلطة العثمانية تثبيت ركائزها في البايلك بالاستناد إلى قبائل متحالفة معها تمثلت في قبائل المخزن وأخرى خاضعة (الرعية) واستمالة شيوخها ومرابطيها، كما أن السياسة التي اتبعها قبائل المخزن تجاه قبائل الرعية والممتنعة والمتمثلة في استخلاص الضرائب ساهمت في دعم خزينة البايلك.

-عرف بايلك الغرب مجموعة من الصناعات اليدوية البسيطة البرانس، الفخار، النسيج، مكنته من سد احتياجات السكان؛ أما الزراعة فكانت رعوية اعتمدت على تربية الحيوانات، واستعمال الأدوات التقليدية كالمنجل اليدوي والمحراث.

- سيطر على النشاط التجاري أصحاب الحرف عن طريق الأسواق الأسبوعية التي كانت تقام بين الريف والمدينة.

عرف مجتمع بايلك الغرب تركيبة سكانية تمثلت في سكان المدن (أتراك - كرا غلة -حضر- يهود – مسيحيين ...الخ) تداخلت فيما بينها في الحكم أو التجارة إلى جانب سكان الأرياف (قبائل المخزن – قبائل الرعية – قبائل متحالفة –قبائل ممتنعة- المرابطين.....الخ).

تعتبر فترة حكم الباي محمد الكبير من أزهى فترات التي عرفت نهوضا فكريا وثقافيا بحيث مثّل عهده العهد الذهبي لبايات وهران المتأخرين.

كثرت المؤسسات الثقافية في البايلك على مستوى كل من وهران ومعسكر وتلمسان ونشطت حركة التأليف، خير دليل على ذلك القائمة الطويلة من المؤلفين والمؤلفات كأبي رأس الناصري " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"،" فتح الإله"، وكذا "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"لابن زرقة، ابن هطال التلمساني " رحلة محمد الكبير الغرب الجزائري ".

- نتيجة احتكاك البايلك بالدول الأوروبية ودول المشرق العربي سواء عن طريق التجارة أو الرحلات، شهد البايلك عدة أمراض وأوبئة كوباء الطاعون الذي أودى بحياة الكثير من سكان البايلك إلى جانب ظهور المجاعات،

واجتياح الجراد والفيضانات التي أدت بدورها إلى إتلاف الأراضي وقلة الإنتاج مما جعل الأوضاع الصحية في البايلك تزداد سوءا.

– كان لسياسة حسن باي آخر بايات وهران اثر على سكان البايلك، والمتمثلة في جمع الضرائب بتجريد الحملات العسكرية على أراضي البايلك وإرغام السكان على الدفع، كل هذا ساهم في قيام ثورات شعبية ضد سلطة الباي منها: الثورة الدرقاوية والتي أرهقت نفوذ البايلك، وكذا الثورة التيجانية بعين ماضي.

تعتبر أول ما لفت انتباه فرنسا عند احتلالها للجزائر هي المنطقة الغربية منها، نظرا لتحصيناتها العسكرية وموقعها الاستراتيجي، وعند توجهها أليها لم تجد أي قوة ضاغطة، فالباي حسن سلمها دون عناء خوفا على أسرته وأملاكه بعد رده خائبا عن طلبه للحماية من شيخ الطريقة القادرية محي الدين.

تمثل جموع الكراغلة وعشائر المخزن وشيوخ الزوايا القوة الحية في المجتمع الجزائري في الفترة العثمانية، نظرا لثروتها وتفوقها الحربي، فكان على الأمير أن يأخذ هذا الوضع الاجتماعي بعين الاعتبار في كفاحه ضد الفرنسيين، لكن إصراره على إتباع سياسة المساواة بين سكان الغرب الجزائري مما جعلت كل من هذه الجموع تتخذ موقفا عدائيا اثر على مسار مقاومته.

وفي الأخير نرجو أن تكون دراستنا قد قدمت صورة تقريبية للتعرف على أوضاع بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني.

وفي الختام نتمنى أن تكون النتائج التي خرجنا بها قد قدمت مساهمة في تسليط الضوء على تلك الحقبة من تاريخ بلادنا، وبالمقابل فإننا نقر أنها لا تعدو سوى أن تكون مجرد أراء واستنتاجات قابلة للمناقشة والتعديل، كما

يمكن من خلالها فتح مواضيع جديدة للدراسة وكمقترحات فقط من أجل الإلمام بالموضوع كمعالجة موضوع جديد لم يسبق دراسته "مقارنة بين الاحتلال الإسباني والاحتلال الفرنسي لبايلك الغرب الجزائري".

الملاحق

الملحق رقم:01 وهران والمرسى الكبير والمنطقة الغربية الوهرانية التي شهدت أحداث الاسبان

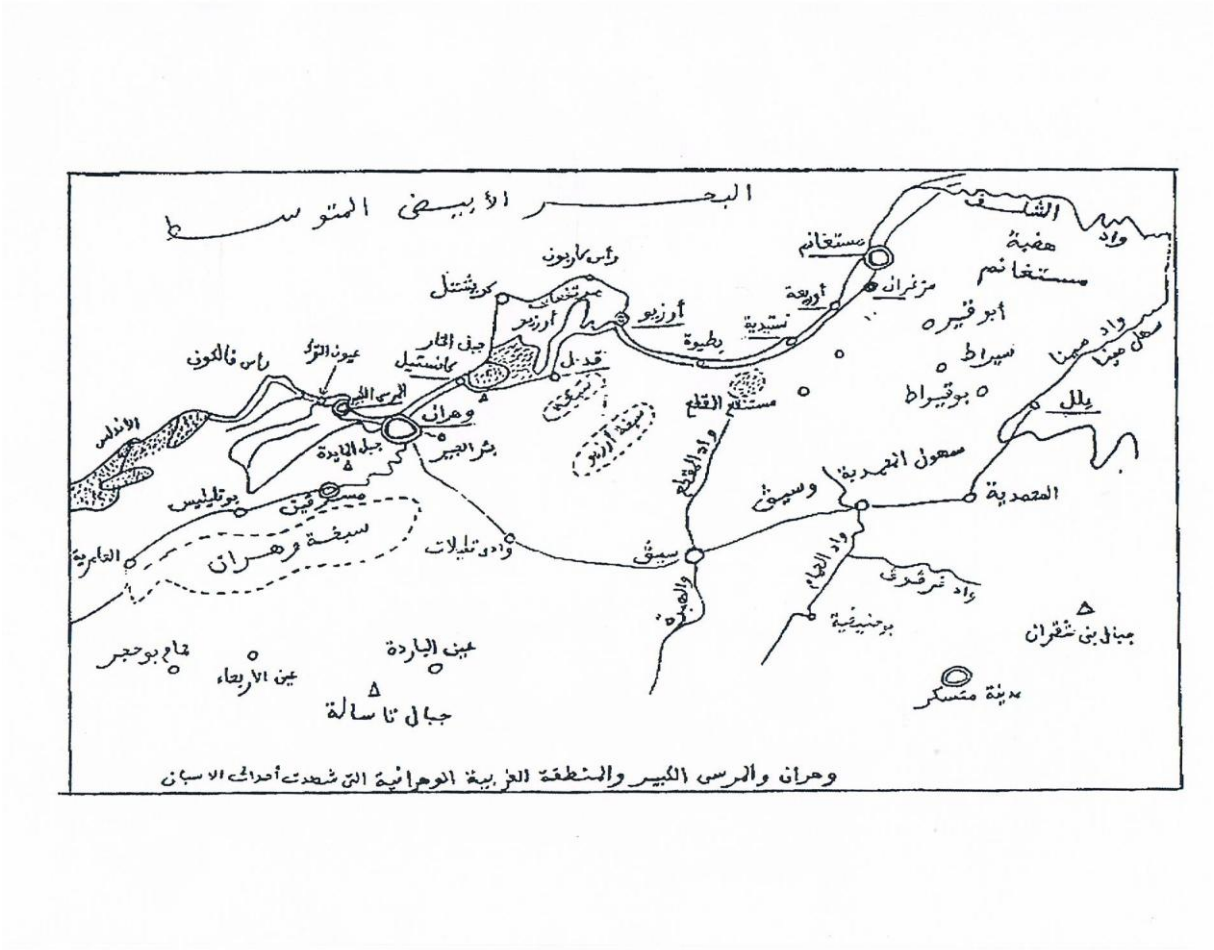

المرجع :المزاري آغا بن عودة ، المصدر السابق ، ص 210.

الملحق رقم: 02

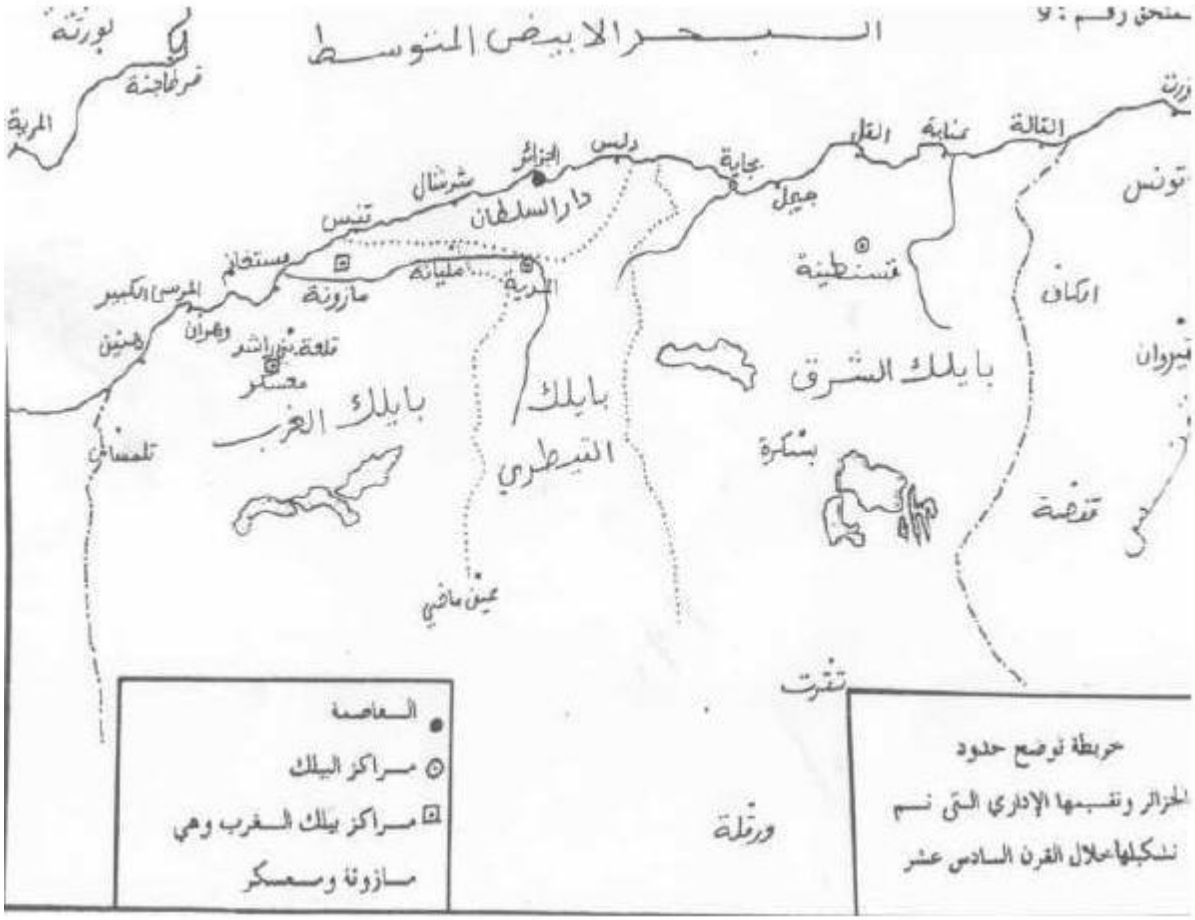

المرجع: صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص283.

الملحق رقم 3:خريطة عن توزيع أهم القوى القبلية ببايلك الغرب وعلاقتها بالتنظيم الإداري العثماني

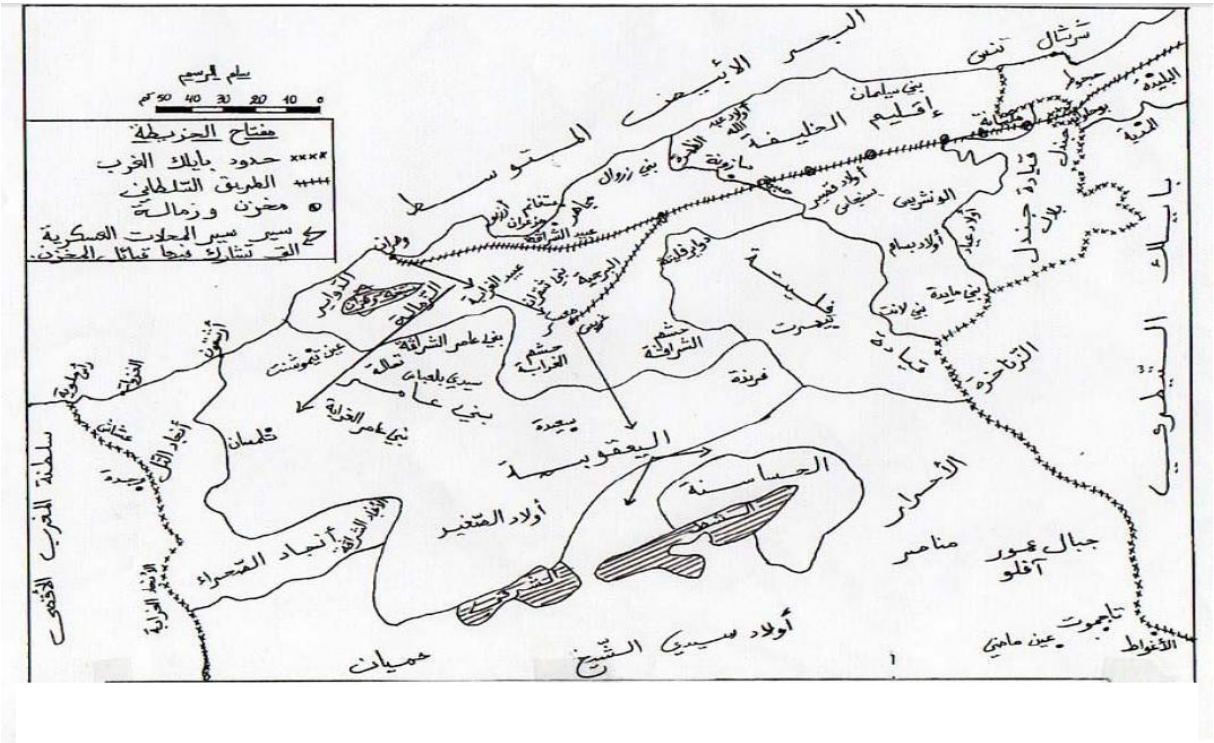

المرجع: ناصر الدين سعيدوني: دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر، المرجع السابق، ص 60.

الملحق رقم 4: نموذج عن الإدارة المحلية (الوضع الإداري لإقليم الغرب)

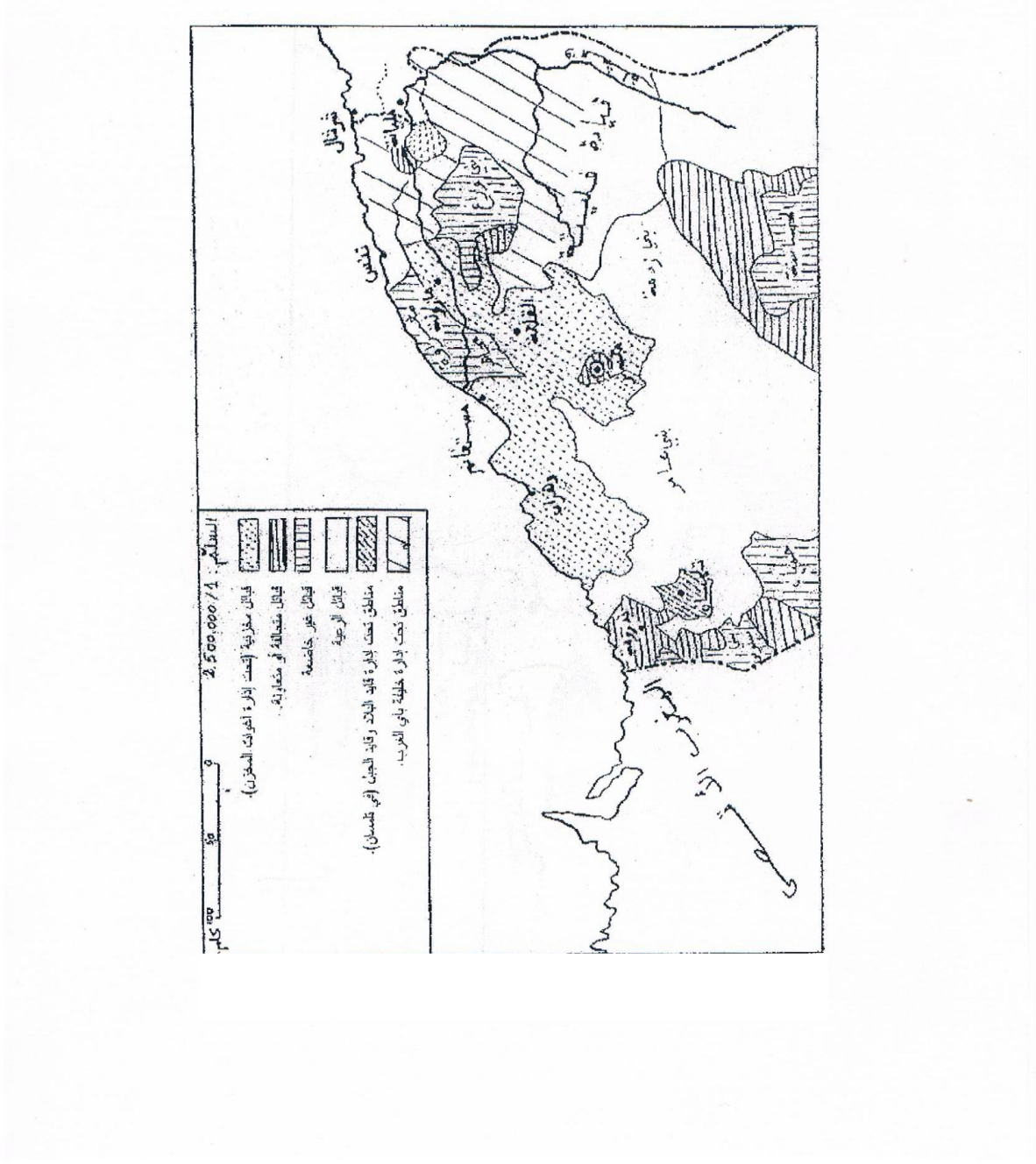

المرجع: سفيان صغيري: مرجع سابق، ص 212.

الملحق رقم 5: خريطة توضح مصدر انتقال العدوى من المشرق الى الجزائر اثناء القرن 18م

et XIX°» In. A.E.S.C. N°6 . 1969.

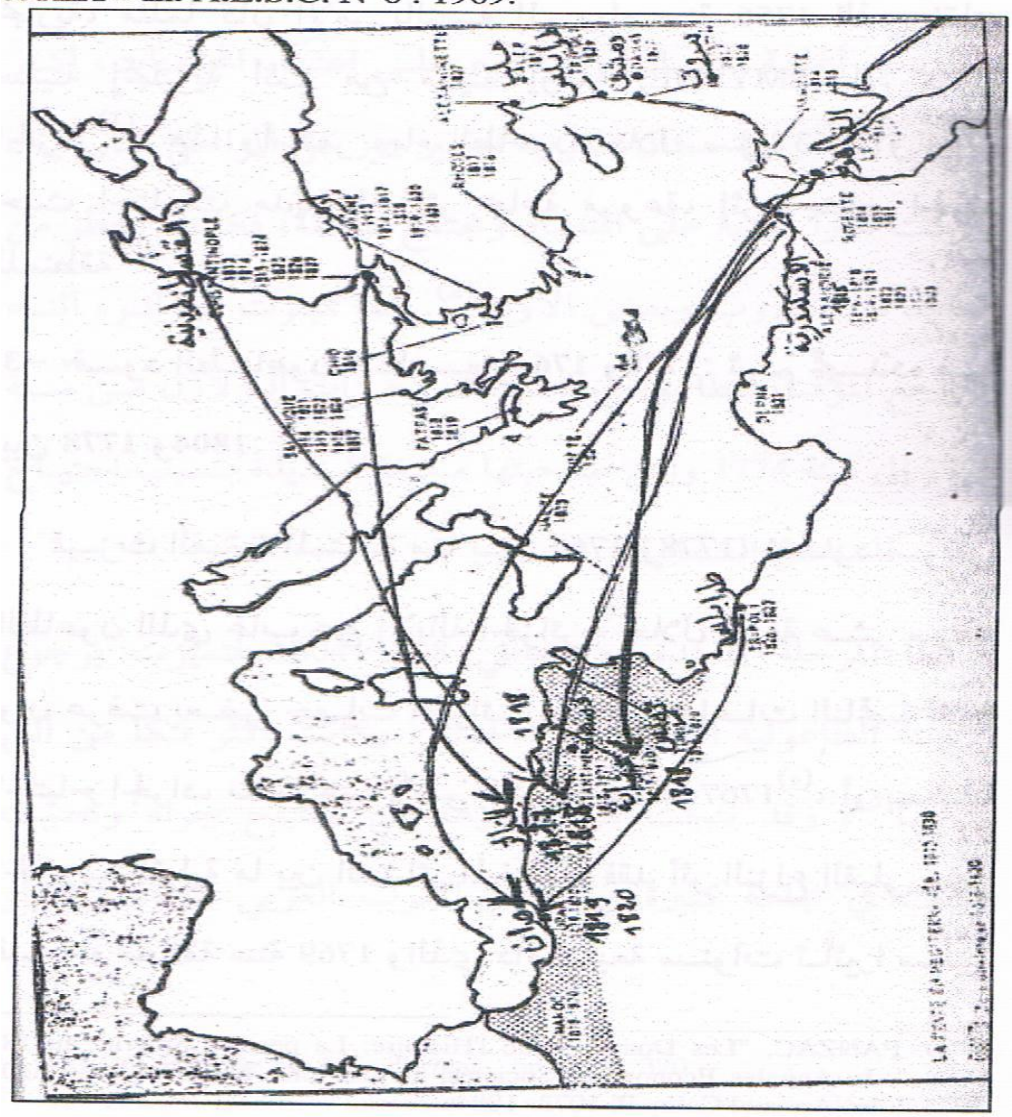

المرجع: فلة موساوي: المرجع السابق، ص122.

الملحق رقم 6: خريطة معارك العثمانيين مع الدرقاويين والتيجانيين

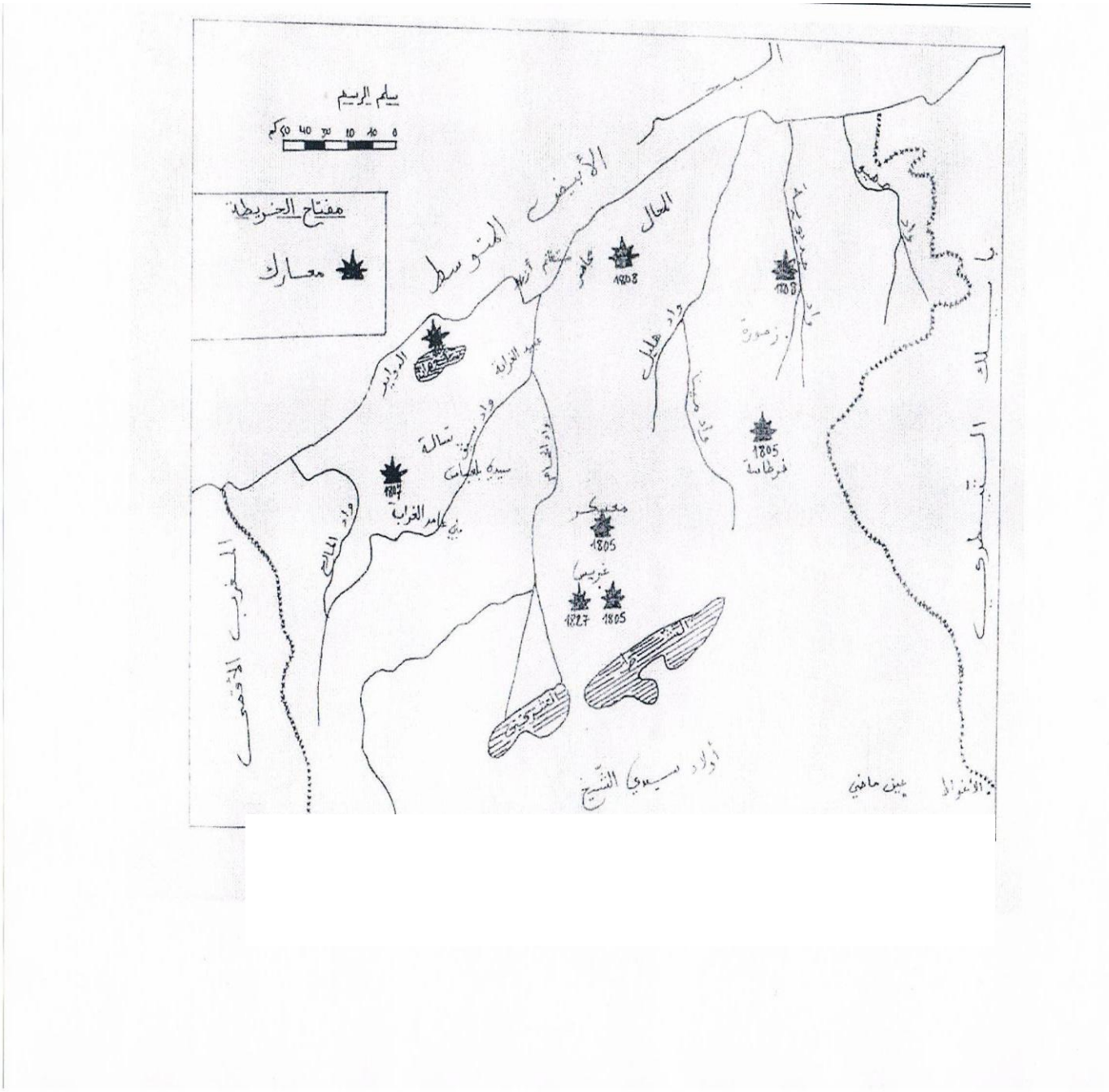

المرجع: سميرة طالي معمر ، المرجع السابق ص 188.

الملحق 7: صورة توضح اجتياح الجراد بالجزائر العثمانية

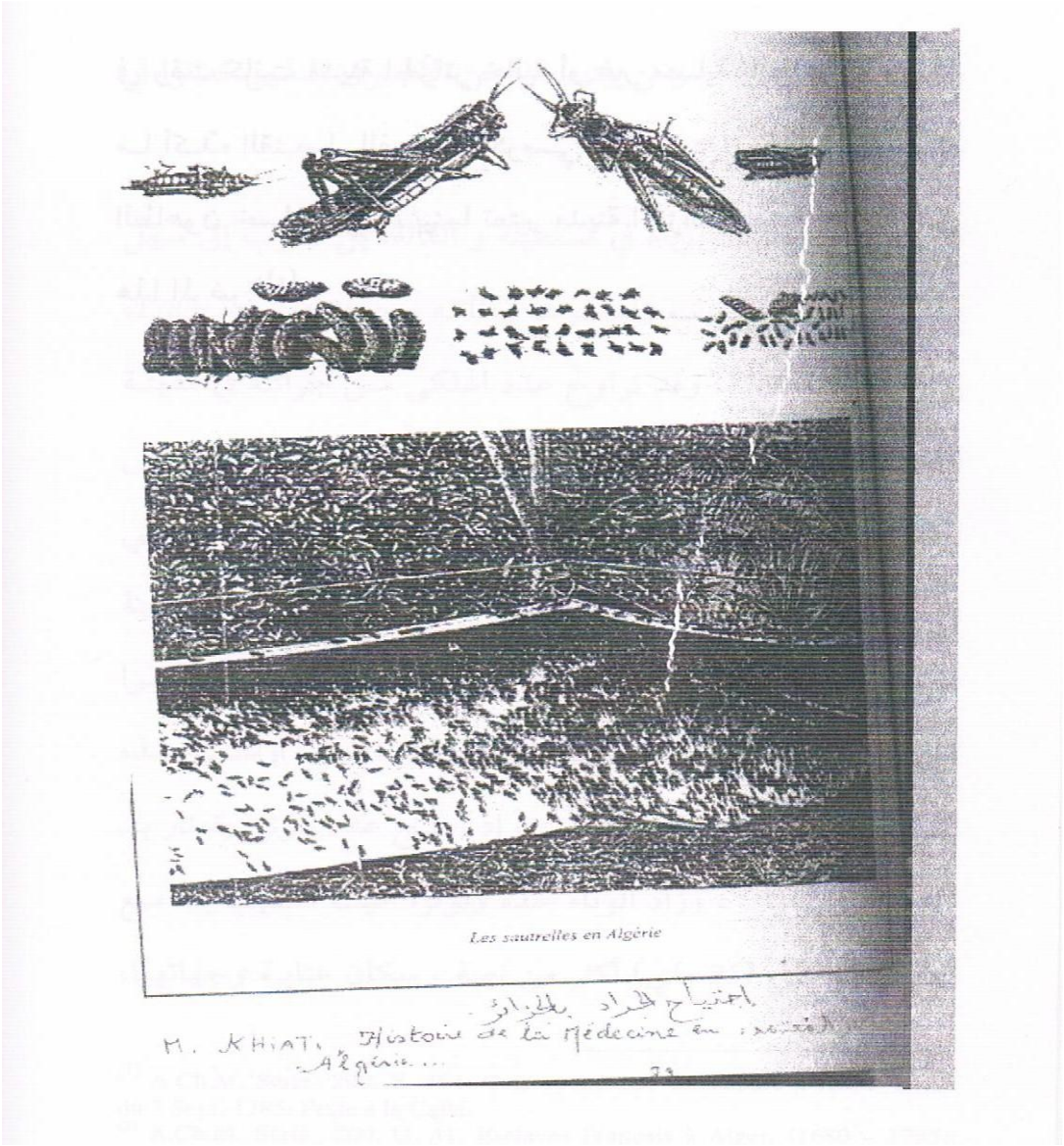

المرجع: فلة موساوي: المرجع السابق، ص 115.

الملحق 8: وثيقة توضح معاهدة الاستسلام الموقعة من طرف الداي حسين ودوبرمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م.

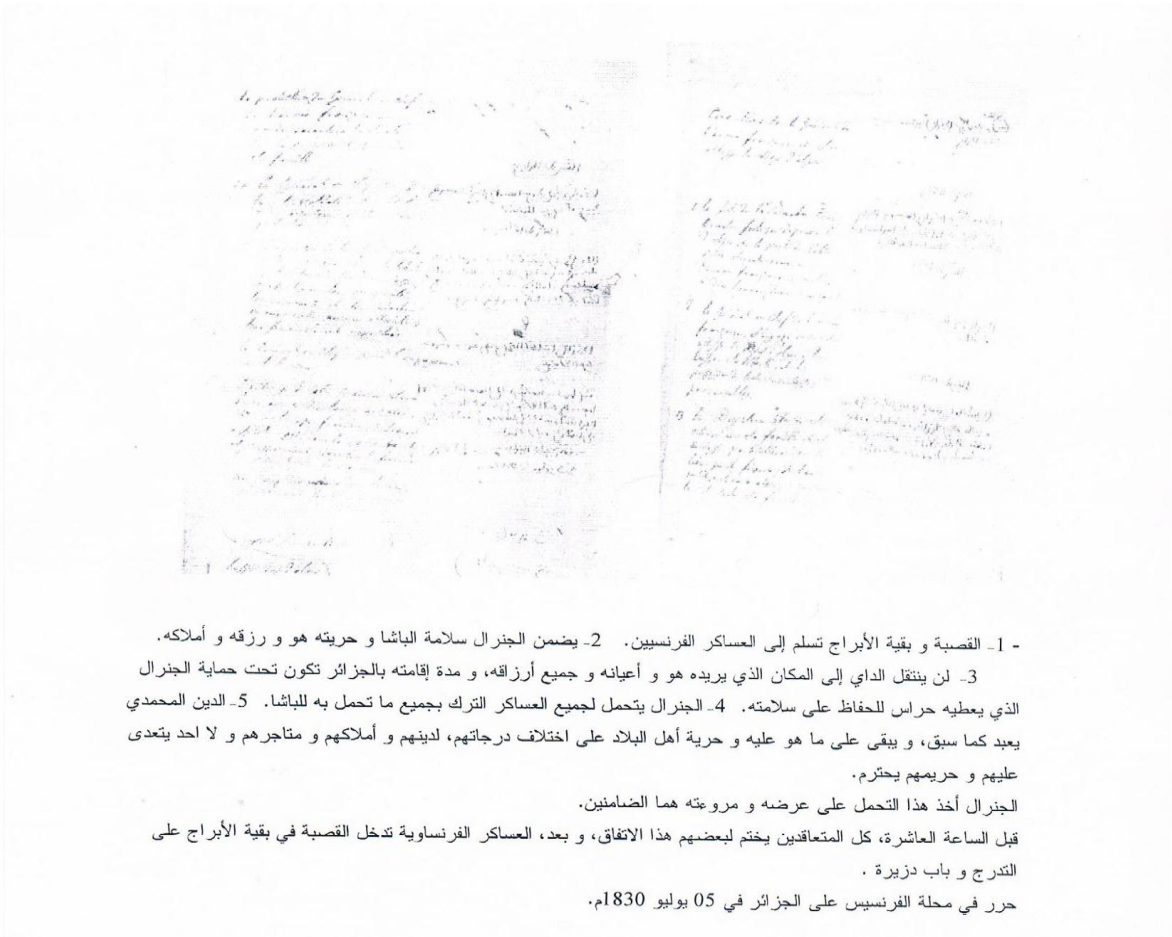

- 1- القصبة و بقية الأبراج تسلم إلى العساكر الفرنسيين. 2- يضمن الجنرال سلامة الباشا و حريته هو و رزقه و أملاكه.
3- لن ينتقل الداي إلى المكان الذي يريده هو و أعيانه و جميع أرزاقه، و مدة إقامته بالجزائر تكون تحت حماية الجنرال الذي يعطيه حراس للحفاظ على سلامته. 4- الجنرال يتحمل لجميع العساكر الترك بجميع ما تحمل به للباشا. 5- الدين المحمدي يعبد كما سبق، و يبقى على ما هو عليه و حرية أهل البلاد على اختلاف درجاتهم، لدينهم و أملاكهم و متاجرهم و لا احد يتعدى عليهم و حريمهم يحترم.
الجنرال أخذ هذا التحمل على عرضه و مروءته هما الضامنين.
قبل الساعة العاشرة، كل المتعاقدين يختم لبعضهم هذا الاتفاق، و بعد، العساكر الفرنساوية تدخل القصبة في بقية الأبراج على التدرج و باب دزيرة .
حرر في محلة الفرنسيس على الجزائر في 05 يوليو 1830م.

المرجع: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر ، ص71-72.

ببلوغرافية البحث

المصادر:

1- القرآن الكريم

2- التر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت:1989.

3- الجزائري ابن ميمون محمد: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر:1981.

4- الجزائري محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر، ط1، ج1، المطبعة التجارية الإسكندرية: 1903.

5- الراشدي ابن سحنون أحمد بن علي: الثغر ألجماني في ابتسام الثغر ألوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، طبعة خاصة، دار المعرفة الدولية، الجزائر: .2013

6- الزهار أحمد الشريف: مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1980.

7- الزياني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1978.

8- المزاري الأغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن19، ج1، تحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر: 1990.

9- المشرفي عبد القادر: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، منشورات مكتبة الحياة، بيروت: .1989

10- المشرفي العربي بن عبد القادر: ياقوتة النسب الوهاجة في ذكر نسيب سيدي علي مولى مجاجة 1313هـ/1896م، تحقيق حمدا دو بن عمر، دار قرطبة للنشر، تلمسان.

11- الناصري أبي راس: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تحقيق بوركبة محمد، ط1، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، وهران: 2005.

12- الوزان حسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1983.

13-ابن هطال التلمساني أحمد: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري1785، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت: 2004.

14- بن التهامي مصطفى: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر: 2009.

15- بن شهرة المهدي: تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران، ط1، دار الريحانة، الجزائر:2007.

16- تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، دار التونسية للنشر، تونس: 1974.

17- خوجة حمدان ابن عثمان: المرآة، تحقيق العربي الزبيري، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1982.

18- عميراوي أحميدة: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، مذكرات تيدينا أنموذجا، دار الهدى، الجزائر: 2005.

المراجع:

1- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1972.

2- الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر: 1963.

3- بحري أحمد: الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبّان الحقبة العثمانية، ج2، دار الكفاية، الجزائر: 2013

4- بسكر محمد: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج1، طبعة خاصة، دار كردادة، الجزائر: 2013

5- بن محمد الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة، الجزائر: 2010.

6- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1997.

7- بوعزيز يحي: مدينة وهران عبر التاريخ، دار البصائر، الجزائر: 2009.

8- بوعزيز يحي: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الوكالة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 2004.

9- بوعزيز يحي: علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا1500- 1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

10- بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر: 2009.

11- جمعية الموحدية ندرومة: ندرومة ونواحيها، جمع وأعداد عز الدين ميدون، ط1، دار السبيل، تلمسان: 2011.

12- حرب أديب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري1808- 1847، ج1، ط1، دار الرائد للكتاب، الجزائر: 1983.

13- حنيفي هلا يلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر: 2008

14- فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين814ق.م/1962م، دار العلوم، الجزائر: 2002.

15- فيلالي عبد السلام: الجزائر الدولة والمجتمع، ط1، دار الوسام العربي، الجزائر: 1434هـ- 2013م.

16- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر: 1998.

17- سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، دار المعرفة، الجزائر: 2009.

18- سعدي عثمان: الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر: 2013.

19- سعيد وني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ك، الجزائر: 1988.

20- سعيد وني ناصر الدين: الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر: 2013.

21- سعيد وني ناصر الدين: ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر: .2012

22- سعيد وني ناصر الدين البوعبدلي المهدي: الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984م.

21- سعيد وني ناصر الدين: النظام المالي في الجزائر في الفترة العثمانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1979.

23- سليماني أحمد: النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب للطبع والنشر.

24- سماعيلي المولودة علوش زوليخة: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط1، دار دزاير انفو، الجزائر: 2013..

25- عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي (1516-1883)، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر: 2005.

26- عمروه عمار، نبيل دادوة: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 الجزائر العامة، ج1، دار المعرفة، الجزائر: 2009.

27- غطاس عائشة وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، طبعة خاصة، الجزائر: .2007

28-مهيرس مبروك: المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2009.

29- مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني الأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2009.

30- موساوي القشاعي فلة: الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال (1518-18830)، وزارة الثقافة، الجزائر: 2013.

الرسائل الجامعية:

1- بن صحراوي كمال: أوضاع ريف بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف دحو فغرور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران: 2012- 2013

2- موساوي فلة: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيد وني، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر: 2003- 2004.

3- دحماني توفيق : الضرائب في الجزائر(1206-1282هـ/ 1792- 1865م) دراسة مقارنة ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمار بن خروف، ج1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر:2007- 2008.

4- شويتام ارزقي: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830)، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمار بن خروف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر:2005-2006.

5- الواليش فتيحة: الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر.

6- بن عيشوش حسيبة: المحلة الدنوش في الجزائر أواخر العهد العثماني(دراسة وصفية)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث "الحوض الغربي للمتوسط 1492- 1912م: تاريخ وحضارة"، إشراف سلطانة عابد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر: 2013- 2014.

7- بلغيث عبد القادر: الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة إسلامية، إشراف أحمد الحمدي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران: 2013- 2014.

8- دغموش كاميلية: قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1792-1509)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف محمد دادة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران: 2013- 2014.

9- صغيري سفيان: العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر(1830-1671)، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حسينة حماميد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة: 2011- 2012 .

10- طالي معمر سميرة: القوى المحلية في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني(1246هـ/ 1831م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر: 2009- 2010 .

11- معمر رشيدي رشيدة: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات(1671- 1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف فلة موساوي القشاعي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر: 2005- 2006.

12- بودر بالة نور الدين: الطرق والمواصلات البرية في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني (1792-1509)، مذكرة الماستر في التاريخ الحديث "الحوض الغربي للبحر المتوسط 1492- 1912م: تاريخ وحضارة"، إشراف قبايلي هواري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر: 2013- 2014 .

المجلات:

1- الزين محمد: "نظرة حول الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد17(2012)، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي سيدي بالعباس غرداية: 1989.

2- حمد المشهداني مؤيد محمود وسلوان رشيد: "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518- 1830"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد 16، المجلد 5، نيسان 2013.

3- سعيد وني ناصر الدين: "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر"، مجلة الأصالة، عدد 32، السنة الخامسة، 1976.

الأطالس:

1- خضر عادل أنور: أطلس تاريخ الجزائر، للمراجعة التاريخية ناجي يحي، ط1، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران: 1434هـ/2013م.

القواميس:

1- عاشور شرفي: معلمة الجزائر القاموس الموسوعي(تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم)، التنسيق والمراجعة مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2009.

الفهارس

فهرس الأماكن والبلدان

أوروبا ص : 9، 60، 70، 78.

أرزيو 52، 59.

انجلترا 61.

اسبانيا 12، 61، 62.

ايطاليا 61.

الجزائر 17، 34، 47.

الأقطار العثمانية بالمشرق 59، 78.

الأغواط 85.

الدول الأوربية 60، 70، 78.

السويد 85.

السودان 60، 77.

الشلف16، 33، 49، 59

الكرط 85.

المدية 69.

المرسى الكبير 10، 12، 13،41، 83.

المملكة المغربية 9، 60، 83.

بايلك التيطري 8، 9، 17، 37.

بايلك الشرق 8، 17، 37.

بايلك الغرب 8، 9، 10، 21، 30، 33، 37، 38، 48، 58.

تونس 53.

تلمسان 10، 11، 21، 28، 48، 54، 66.

تركيا 51.

جهات السر سو 83.

دار السلطان 8، 9، 10، 37.

دول المغرب العربي 59.

راس فالكون 49.

سعيدة 10، 59.

شرشال 52.

عين ماضي 85، 89.

غريس 10، 42، 48.

فرطاسة 84.

قسنطينة 10.

قلعة بني راشد 9، 48، 54.

مازونة 9، 10، 34، 54، 71، 73.

مدينة الجزائر 47.

مدينة سيق 74.

مصر 51، 87.

مستغانم 21، 42، 48، 54.

معسكر 9، 10، 21، 28، 42، 48، 49، 54.

مليانة 36، 69، 84.

ميلة 52.

ندرومة 14، 51، 52، 54، 73.

وهران 9، 10، 11، 13، 19، 27، 28.

فهرس القبائل:

البحايثية 32.

الأتراك 32، 41، 66، 67،

البنادعية 33.

التيجانية 82.

الأسرى المسحيين 70.

الأندلسيين 47، 53، 68.

الحضر 68.

الحشم 33، 35، 59، 85.

الدرقاوة 82.

الدوايرة 23،25، 31، 32، 37، 41.

الزمالة 23، 32، 33، 37، 41.

الكراطة 32.

المرابطون 70.

اليهود 12، 20، 53، 69.

أولاد عبد الله 28.

أولاد عنتر 35

أولاد سيدي العبدل35.

أولاد رياح 35.

بنوعامر23، 34.

بني بوسعيد 35.

بني سنوس 35.

بني صميل 35.

بني وعزان 35.

جماعة الدخلاء 69، 70.

جماعة الكراغلة 41، 67، 88.

حميان 28، 34، 50.

رعية الباي -34

رعية الخليفة 34.

رعية قائد الجندل 34، 37.

رعية نواحي تلمسان 35.

رعية اليعقوبية 35، 50، 71.

شافع 28، 34.

قبائل المخزن 28،18، 30، 31، 32 ،33، 37، 46، 57، 84.

قبائل الرعية 28، 33، 34، 36، 38، 57.

قبائل متحالفة 28، 36، 38.

قبائل مستقلة 28، 38، 57.

فليتة 34، 35، 50، 59.

قبيلة الأعشاش 59.

قبيلة البرجية 84.

قبيلة مهاجر 23، 34، 36، 84.

كرشتل 28.

هاشم 86.

ولهاصة 35.

فهرس الأعلام والأسماء:

أحمد طوبال: 19.

احمد بن سالم التيجاني:84-88.

احمد باي 66.

احمد التونسي: 85.

أبي راس الناصري: 27-75-91.

أبوكابوس: 25-36.

ابو القاسم الزياني : 74.

إبن سحنون : 74.

الشريف الدرقاوي: 78-83.

المزاري:72-87.

الامير عبد القادر: 85-87-88.

حمدان خوجة : 41-66.

حسين الداي:85.

حسن بن موسى : 26-72-84-86-88.

حسن باشا: 17.

خليل باي : 9.

دوماس :75.

قارة مصطفى: 19.

طاهر بن حواء : 73.

سيدي بومدين : 72.

سيدي بوبكر :70.

سيدي احمد بن يوسف : 70.

عروج :70.

عبدالقادر الدرقاوي:83.

عبد الرحمن المحمودي: 73.

محي الدين: 86-88.

محمد خوجة : 73.

محمد بوجلال : 73.

محمد بن علي بن الشارف المازوني :70- 73.

محمد بن عثمان الكبير : 12-13-19-25-34-52-58-59-67-68-70-71-74-75-76-78-90.

محمد بقداش : 41.

محمد المقلش : 25-78-84.

محمد الكبير التيجاني:84.

مولاي الطيب الوزاني : 74.

مصطفى بن يوسف بوشلاغم : ص 9-11-41-66.

مصطفى بن عبد الله العجمي : 25.

فهرس المحتويات

إهداء	I
شكر وعرفان	II
مقدمة	أ- ه
مدخل : وضعية بايلك الغرب عشية تحرير وهران (1790–1792)	13-6
الفصل الأول بايلك الغرب سياسيا	38-14
المبحث الأول : الجهاز الإداري للبايلك	21-15
المبحث الثاني : نظام الحكم	26-21
المبحث الثالث: علاقة السلطة بالقبائل	37 -27
الفصل الثاني: بايلك الغرب اقتصاديا	62 -39
المبحث الأول :الزراعة(ملكية الأراضي)	50 -41
المبحث الثاني :الصناعة	54-51
المبحث الثالث : قطاع الخدمات (التجارة – الضرائب)	62 -55
الفصل الثالث: بايلك الغرب اجتماعيا	80-63
المبحث الأول : الفئات السكانية	70 -65
المبحث الثاني : الثقافة	75 -71

المبحث الثالث : الوضع الصحي	80 -76
الفصل الرابع : سقوط البايلك	90 -81
المبحث الأول : قيام الثورات الشعبية واحتلال وهران	86 -83
المبحث الثاني موقف القبائل من مقاومة الامير	90 -87
خاتمة	94 -91
الملاحق	103 -95
بيلوغرافية البحث	111 -104
الفهارس	123-112
فهرس الأماكن والبلدان	115 -113
فهرس القبائل	118-116
فهرس الأعلام والأسماء	121-119
فهرس الموضوعات	123 -122